مجلة جامعـة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العدد الثالث
رجب ١٤١٠هـ

العباسيون ومواجهة المقاومة الأموية

للدكتــور
محمد سالم بن شديد العوفي
الأستاذ المشارك بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض
ومدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية
بالمدينة المنورة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميـة

مقدمة

شهد عامُ ١٣٢هـ (٧٤٩م) ، وبالتحديد مساء يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، في مدينة الكوفة ، مولِدَ دولة جديدة ، هي الدولة العباسية ، وأفول دولة أخرى ، هي الدولة الأموية ، وكان عبدالللة بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبوالعباس السفاح) أول خليفة عباسي ، بينما كان مروان بن محمد آخر خليفة أموي ، وفي الوقت الذي بُويع فيه أبو العباس السفاح بالخلافة ، كان مروان بن محمد لايزال على قيد الحياة ، يُعَبِّر مع بقية أفراد البيت الأموي عن نَبْضٍ ضعيف للدولة الأموية ، وقد استمر هذا النَّبْضُ . حتى بعد مقتله في قرية (بُوصِير) من صعيد مصر ، في يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ .

لم تكن مهمة العباسيين سهلة ، وهم يواجهون ذلك النَّبْض ، الذي كان يُشَكِّل عامل خطر يهدد دولتهم ، قابل للنشاط أمام أي ضعف ، أو تهاون ، كما أن الأمويين لم يستسلموا بسهولة ، ولم يتركوا العباسيين يتمتعون بالسير في أرض مُمَهَّدَةٍ للوصول إلى غايتهم دون مشقة بل قاوموا حتى آخر رَمَقٍ في عروقهم ، وتمكن أحدهم ، وهو عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) من الاجتياز إلى الأندلس ، معلنا استمرار تلك الدولة في ذلك الطَّرَفِ القَصِيِّ من البلاد الإسلامية التى بقيت شذىً وغصَّةً تجرَّع ألَمَهَا العباسيون .

إنها أزمة النهاية والبداية ، تلك التي يحاول هذا البحث تسليط الضوء عليها ، وهي أزمة يكتنفها الغموض ، ويسود رواياتها الاضطراب ، تتشابه شخوصُها ، وتَتَعَقَّد أدوارها ، فتضيع الحقيقة في متاهات الميول ، والاتجاهات ، فلا يكاد الباحث يسلك طريقا يطمع أنه سيوصله إلى ماينشده ، حتى يعصف به عاصفُ الاتجاهات ، فتضيع عليه معالمُ الطريق ، ويبقى في دوامة وغموض ؛ فعدا عن

الأمويين ، الذين كان يعيش معهم العباسيون تلك الأزمة ، هناك تيار آخر لايقل أهمية وخطرا عن بني أمية ، ألا وهو التيار العلوي ، الذي تميز بكثرة المؤيدين والاتْباع ، مِمَن ناصر وتحمس للدعوة للرضا من آل البيت ، أملا أن يكون هذا الرضا أحد أفراد البيت العلوى ، فكان لهؤلاء دورهم في تشويه صورة التاريخ العباسي ، فاستغلوا تلك الأزمة ، وما قام به العباسيون من قمع لمقاومة وثورات بني أمية ، فضخموا الأحداث ، ووظَّفوها ، بما يخدم موقفهم ويستجيب مع مطالبهم .

من خلال تتبع الروايات التاريخية من مصادرها المختلفة ، ومن خلال عملية نقد ومراجعة تلك الروايات والتعرف على ما يوجِّهها من ميول وتيارات ، تحاول هذه الدراسة أن تتلمس طريقاً واضحاً بين ذلك الرُكام من الاضطراب والتداخل حول قضية المقاومة ، والمواجهة بين الأمويين والعباسين ، والتي تعتبر أزمة من الأزمات التي واجهها العباسيون ، واستطاعوا اجتيازها بعد عناء ومشقة . فكانت مرحلة المقاومة المبكرة ، أي قبل إعلان قيام الدولة العباسية ، حيث قاد هذه المرحلة من الجانب الأموي أبرز قادتهم ، يزيد بن عمر بن هبيرة ، الذي واجهه أبرز قواد العباسيين من العرب ، قحطبة بين شبيب الطائي ، ثم مرحلة إعلان قيام الدولة العباسية ، ومقاومة الخليفة الأموي مروان بن محمد ، حيث واجهه أبرز رجالات البيت العباسي ، عبداله بن علي ، وصالح بن علي ، ثم الثورات التي قام بها بعض القادة المخلصين لبني أمية في الجزيرة ، وبلاد الشام ، والموصل وغيرها .

وأخيراً مرحلة التَّصْفِية وانهيار المقاومة التي تعتبر من أصعب مراحل الأزمة . وأكثرها تعقيداً ، مما أَهَّلها لأن تحتل قِسْطاً كبيراً من مساحة هذه الدراسة .

مرحلة المقاومة المبكرة :

في الكـوفـة ، وفي ليلة الجمعـة لثـلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الأول عام (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[١] ، في بني أود ، في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم أعلن أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، خليفة على المسلمين ، وفي يوم الجمعة ، وبعد أن أَمَّ الخليفةُ المسلمين في مسجد دار الإمارة . وبعد الإنتهاء من خطبة الجمعة ، والصلاة ، صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثني عليه ، ثم بَيَّنَ فضل بني العباس ، وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « . . وزعمت السبئية الضلال ، أن غيرنا أحق بالرياسة ، والسياسة ، والخلافة منا ، فشاهت وجوهم بِمَ ، ولِمَ أيها الناس . . إلى أن قال : ثم وثب بنو حرب ، ومروان فابتزوها ، وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، وَرَدَّ علينا حقَّنا ، وتدارك بنا أمتنا ، وولي نصرنا ، والقيام بأمرنا لِيَمِنّ بنا على الذين اسْتُضْعِفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وأني لأرجو ألا يأتيكم الجَوْرُ ، من حيث أتاكم الخير ، ولاالفساد ، من حيث جاءكم الصلاح» ثم أثنى علي أهل الكوفة ، وزاد في عطائهم مائة درهم[٢] .

أوجـز أبـو العباس الخطبة[٣] ، فقام عمه داود بن علي ، وصعد المنبر ، ووقف دونـه ، فشكـر الله على عودة القـوس إلى باريهـا ، والسهم الى مَنْزَعه ، وذكر أن خروجهم ، ليس لجمع الأموال ، أوحفر الأنهار ، أوبناء القصور ، وإنما طلباً لحق اغتصب منهم ، وثـأراً لبني عمهم من العلويين ، وأخذاً لحقهم من ظلم بني أمية لهم ، ومما قال : «لقد كانت أموركم تُرْمِضُنَا ، ونحن على فُرشِنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ، وخُرقهم بكم ، واستذلالهم لكم ، واستئثارهم ، بفيئكم ،

(١) حسب رواية ابن خياط في «تاريخه» (٤٠١)، وجاء في تاريخ الرسل والملوك للطبري، (٤٢٠/١٧) أنه بويع بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ، وقيل في جمادي الأول .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٥٢/٧، ٤٢٦، ٤٢٧ .

(٣) بسبب مرضه ، المصدر نفسه، ٤٢٦/٧ .

وصدقاتكم ، ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم ، والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم» . ثم صَبَّ جَامَ غضبه على بني أمية مُعَدِّداً مساوءهم ، وظلمهم ، وختم خطبته بمدح الخراسانيين ، وطلب منهم ، السمع والطاعة لبني العباس[٤] .

وفي الحجاز ، قام دواد بن علي خطيباً في مكة المكرمة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : «والله ما قمنا إلا لإحياء الكتاب والسنة ، والعمل بالحق والعدل ، وَرَبَّ هذه البُنْيَة ، (ووضع يده على الكعبة) لانهيج منكم أحداً إلا أن يُحْدِث بعد يومه هذا حَدثًا ، أمن الأسود ، والأبيض ممن لم يأت بعد هذا اليوم سوءا ، ولم يحاول لأمرنا نقضا ، ولاعلينا بغيا ، ما بال الوحوش ، والطير تأمن في حرم الله ، ويخاف من أَمَّنّاه على سالف ما كان منه»[٥] .

ذكر الذهبي ، أن عبد الصمد بن علي عم المنصور قال له ذات يوم : «يا أمير المؤمنين ، لقد هَجَمْت بالعقوبة ، حتى كأنك لم تسمع بالعفو ، قال: لأن بني أمية لم تَبْـل رِمَمُهم ، وآل علي لم تغْمد سيوفُهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سُوْقةً ، ولاتتمهد هيبتنا في صدروهم إلا بنسيان العفو»[٦] .

تلك هي أبرز معالم السياسة العباسية ، على الأقل في فترة التأسيس ، فهم قد استعادوا حقا يعتقدون أنه سلب منهم ، كابدوا في سبيله المشاق ، والصعاب ، بذلوا أنفسهم ، وأموالهم ، فلابد من المحافظة على هذا الحق ، وعدم السماح بأن تُمَسَّ تلك المكتسبات ، مهما كلف ذلك من تضحيات ، ولابد من أجل زرع هيبتهم ، وتأكيد مكانتهم في نفوس أعدائهم الطامعين فيهم من استخدام العنف والقسوة ، وهم أيضا علي استعداد للمزاوجة بين هذا الأسلوب وأسلوب المهادنة ، والموادعة ، إذا ما لمسوا في الطرف الآخر القبول ، والاستسلام ، وعدم إثارة الفتن والمشكلات .

---

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٢٦/٧-٤٢٧ .

(٥) البلاذري : أنساب الاشراف ، ٨٧/٣ .

(٦) سير اعلام النبلاء ، ٨٥/٧ .

وهنا يبرز سؤال ، هل نجح العباسيون في تطبيق هذه السياسة ، وإلى أي مدى مارسوا تلك الأساليب ، مع من بقي من الأمويين الذين لازالو يقاومون في بلاد الشام بصفة خاصة ، وبعض الأقاليم الأخرى ، مثل : واسط ، والموصل وقِنّسرين ، بزعامة آخر خلفائهم مروان بن محمد ، الذي وقف إلى جانبه بعض القواد البارزين ممن لازال على وفائه ، وإخلاصه لبني أمية أمثال : يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومعن ابن زائـدة الشيباني ، ومحمد بن نباته بن حنظلة ، وداود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومالك بن أدهم الباهلي ، والمصعب بن صَحْصَح الأسدي ، وعطيف السلمي .

تختلف المصادر التاريخية ، حول تقدير درجة نجاح العباسيين في ذلك ، ويكتنف رواياتها الغموض ، والتداخل ، وربما وجد الباحث صعوبة في الجمع بينها ، والخروج برأي واضح ودقيق ، وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في موقف العباسيين ممن بقي ، من بني أمية في دمشق ، وفلسطين ، والحجاز ، والبصرة ، والأنبار ، ولكي تكتمل الصورة ، وتتضح معالمها نبدأ بموقف مروان بن محمد ، الذي أوكل أمر القضاء على الفتن التي أخذت تتدفق كالأمواج العاتية من خراسان ، وما ولاها من أقاليم ، إلى قائده يزيد بن عمر بن هبيرة ، إلا أنَّ الأحداث كانت من القوة والتتابع ، ما أعجز ابن هبيرة عن التصدي لها ، فضعفت قواه أمام ذلك الطوفان الجارف ، الذي قاده أحد أبرز دعاة بنى العباس ونقبائهم ، (قحطبة بن شبيب الطائي) ، عندما أخذ يزحف من جرجان ، مكتسحا دفاعات ابن هبيرة ، الواحدة تلو الأخرى ، فهزم بالقرب من (جَابَلْق) ، في إقليم إصبهان ، جيش ابن هبيرة بزعامة عامر بن ضُبارة ، الذي لم يُجْده نفعا وقوف قواد بارزين إلى جانبه ، أمثال : داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومالك بن أدهم الباهلي ، والمصعب بن صحصح الأسدي ، وعطيف السلمي ، وقد وقعت تلك الهزيمة يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م)[٧] ، كما هُزمت دفاعات ابن هبيرة أيضا في نهاوند وهي المكونة من فلول المنهزمين ، من جيش عامر ابن ضبارة ، إضافة إلى عشرة آلاف مقاتل قيسي ، بقيادة حَوْثرة بن سهيل الباهلي ، بعد حصار دام ثلاثة أشهر[٨]

(٧) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٦ .

(٨) وقيل أربعة أشهر .

شعبان ، ورمضان ، وشوال ، وقف الحسن إلى جانب والده قحطبة بن شبيب بكل قوة في هذه المعركة التي انتهت بالاستيلاء على نهاوند في شوال سنة ١٣١هـ(٩) .

حرص العباسيون في هذه المرحلة على غرس هيبتهم في نفوس الناس ، وإرهاب أعدائهم بني أمية ، فقام القائد العباسي ، قحطبة بن شبيب الطائي بقتل بني نَصْرِ ابن سيار ، وأشياع الأمويين ، في خراسان كما ذكر ذلك الأزدي ، صاحب تاريخ الموصل(١٠) .

بعد الهزائم ، التي مُنيت بها جيوش ابن هبيرة ، ودفاعاته ، وبعد أن أخمد قحطبة ابن شبيب الطائي أنفاس الأمويين في خراسان ، وفي آخر ذي القعدة من سنة إحدى وثلاثين ومائة تقابل الجيشان الرئيسيان ، ابن هبيرة ، في جَلُولاء ، وقحطبة بن شبيب الطائي في خانقين ولايفصل بينهما سوى مسافة أربعة ، أو خمسة فراسخ(١١) ، وكان يقف إلى جانب قحطبة بن شبيب الطائي في هذه المواجهة قواد بارزون أمثال : ابنه حميد بن قحطبة ، وابنه الحسن بن قحطبة ، والقائد خازم بن خزيمة ، إضافة إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي ، الذي وجهه قحطبة على رأس ثلاثين ألف مقاتل إلى عثمان بن سفيان ، صحاب مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد ، فنجح أبوعون في مهمته ، وهزم عثمان بن سفيان(١٢) ، فكانت تلك الهزيمة ناقوس خطر أقض مضجع الخليفة الأموي مروان بن محمد ، حيث كان يرقب الأحداث باهتمام وقلق ، من مدينة حَرّان ، فأقبل بجيوشه ، من الشام ، والجزيرة ، والموصل ، وصار معه بنو أمية حتى انتهوا إلى مدينة الموصل(١٣) ، ليكون على مقربة ، من قائده ابن هبيرة يشجعه ويشد من أزره .

كان هدف قحطبة بن شبيب الطائي دخول مدينة الكوفة ، مركز الدعوة العباسية ، ورغم قتله في ظروف غامضة ، قبل دخوله الكوفة ، إلا أن ابن هبيرة فشل

(٩) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٦ ، وابن الأثير : الكامل ، ٣٩٩/٥ـ ٤٠٠ .

(١٠) ص ١١٧ .

(١١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤١٠/٧ ، ٤١٢ والأزدي : المصدر السابق ١١٧ .

(١٢) الطبري : المصدر السابق ، ٧/ ٤١٢ ، ٤١٤ ، والأزدي : المصدر السابق ١١٧ .

(١٣) المصدر نسفه ، ١١٧ .

في الحيلولة دون وصول الجيش العباسي ، الذي تزعمه الحسن بن قحطبة ، بعد مقتل والده إلى مدينة الكوفة[١٤] ، حيث دخلها يوم عاشوراء من سنة ١٣٢هـ ، وكان محمد ابن خالد بن عبدالله القسري ، قد رفع الأعلام السود فيها قُبَيْل مقدمة[١٥] .

هزيمة مروان بن محمد وقتله :

نزل مروان بن محمد ، على زاب الموصل ، وكان ذلك قبل إعلان أبي العباس السفاح خليفة ، فوجه له وزيرُ آل محمد ، أبو سلمة الخلال ، القائد أباعون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي ، وكانت الأحداث في هذه الفترة متتابعة وسريعة ، فأعلنت خلافة أبي العباس ، وكان أول عمل قام به ، هو مواجهة مروان بن محمد ، ومن معه من بني أمية ، وأشياعهم ، لأن مركزه مُهَدّد مادام فيه ، وفي بقية بني أمية ، وأشياعهم عروق تنبض بالحياة ، فرمى مروان بن محمد بعمه عبد الله بن علي السَّفاح ، الذي قال عنه الذهبي ، في سير أعلام النبلاء[١٦]«من رجال العلم ، ودعاة قريش ، كان بطلا شجاعا مهيبا جَبَّارا ، جسورا سَفّاكا للدماء ، به قامت الدولة العباسية» .

تعتبر هذه الفترة بداية انعطاف في سياسة الدولة العباسية تجاه بني أمية ، وأشياعهم ، فقبل إعلان قيام الدولة العباسية ، كانت تعتمد في مواجهة الأمويين على بعض القواد البارزين ، أمثال أبي مسلم الخراساني الذي نجح في تنفيذ مهمته ، التي كُلِّف بها في خراسان ، والقائد العربي قحطبة بن شبيب الطائي ، وابنَيْه الحسن ، وحميد ، الذين انطلقوا من خراسان في اتجاه إقليم العراق ، فلم يظهر من العباسيين قادة يباشرون بأنفسهم خوض معارك غير مأمونة العواقب بعد ، إضافة إلى طابع السرية ، الذي كان قائما حول شخصية من يلي الخلافة ، هل هو من البيت العباسي ، أم من البيت العلوي ، ولكن بعد أن خضع إقليم خراسان ، وأجزاء من إقليم العراق ، وبعد أن تكشفت أمور الدعوة ، وأُعلن عن شخصية الخليفة ، أراد

(١٤) تفصيل الخبر ، في تاريخ الرسل والملوك ، ٤١٤/٧ـ٤١٦ .

(١٥) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٩ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤١٧/٧ .

(١٦) ١٦١/٦ .

العبـاسيون مواجهة المقاومة الأموية بأنفسهم ، حفاظا على تلك المكتسبات ، التي اشـترك إلى جانب الأمويين في منازعتهم عليها بنو عمهم ، من العلويين ، الذين التف حولهم عدد كثير من المؤيدين[17] وإلى جانب هذا ، وذاك أدرك أبو العباس أهمية معركة الزَّاب ، وحنكة مروان بن محمد ، وتمرسه على الحرب ، فأراد أن يختار له أحد أفراد البيت العباسي ممن وُصِفوا أيضا بالشدة والبطش .

ليلتين خلتا من جمادي الآخرة سنة (١٣٢)هـ ، وصل عبد الله بن علي إلى (تل كُشَاف) على شط الزّاب ، فتخلى له أبو عون عن القيادة العامة[18] ، وفي الوقت الذي تقلل فيه بعض المصادر التاريخية من عدد جيش عبد الله بن علي ، حيث ذكرت أنه لايتجـاوز عشرين ألفا ، نجدها في المقابل تبالغ في عدد جيش مروان بن محمد ، حيث رفعته إلى مائة وعشرين ألف مقاتل ، وربما أكثر[19] .

لم تكن مهمة عبد الله بن علي سهلة أمام خليفة مستميت ، مجرب محنك ، مثل مروان بن محمد ، ومن معه من أفراد البيت الأموي ، أو أشياعهم ، الذين ربطوا مصيرهم به ، فقد كانت مقاومة الأمويين عنيفة ، مُني العباسيون أمامها بأكثر من هزيمة ، حيث استطاع القائد الأموي الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان[20] ، أنْ يُحْدث في الخراسانيين مذبحة في قرية من قرى الحَرْبية ، كما استطاع أن يأسر منهم عددا كبيرا ، وكان من ضمن الأسرى أحد القواد العباسيين البارزين ، وهو المخارق ابن العُقاب الطائي) ، وكان ذلك يوم السبت ، لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة (١٣٢هـ)[21] .

أثناء المصاف بين عبدالله بن علي ، ومروان ابن محمد ، استطاعت ميسرة مروان

---

(١٧) ولعل الكثير ممن انضم الى الدعوة للرضا من آل البيت ، كان يتطلع أن تصبح الخلافة فى أفراد البيت العلوي .

(١٨) الأزدي : تاريخ الموصل : ١٢٥ .

(١٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٣٧/٧ ، والأزدي : المصدر السابق ، ١٢٦ .

(٢٠) ذكرت بعض المصادر، أن اسمه (الوليد بن معاوية بن مروان)، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٤٣٨/٧ ، إلا أن البلاذري ذكر أن اسمه الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يقول : «ومن قال وليد بن معاوية بن مروان باطل ، لم يكن لمعاوية بن مروان، ابن يقال له الوليد». راجع، أنساب الاشراف، ١٢١/٣ .

(٢١) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١٢٧ .

ابن محمد بقيادة الوليد بن معاوية أن تلحق هزيمة بميمنة عبدالله بن علي ، بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي[٢٢] ، ولكن تلك المقاومة لم يكتب لها الصمود ، فأنتابها الضعف والوهن ، ويحمّل المؤرخون أهل الشام مسؤولية ذلك التخاذل ؛ حيث دخلوا المعركة ، وكأنهم يدفعون إلى القتال دفعا ، إضافة إلى أنّ كل قبيلة كانت تحاول أن تدرأ نفسها بالقبيلة الأخرى ، فإذا طلب مروان بن محمد من قبيلة قضاعة أن تقدم إلى القتال ، قالت: لماذا لاتقدم بنو سليم ، وإذا طلب من بني سليم ، قالوا : قل لسكاسك ، وهكذا في بقية القبائل ، بنو عامر ، والسكون ، وغطفان[٢٣] ، ويبدو أن كثرة المعارك التي خاضها مروان بن محمد ، وتكالب أعدائه عليه ، كان عامل تخذيل كبير لتك القبائل من الاستمرار في القتال ، الذي سئموا منه ، ويئسوا من تحقيق نتائج حاسمة ، وربما ظهر في هذه الفترة تيار بين القبائل الشامية ، التي كانت تقف إلى جانب الأمويين يميل إلى العباسيين وسيظهر أثر هذا التيار بوضوح أثناء حصار مدينة دمشق كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

أُسقط في يد مروان بن محمد ، ولم يكن يرى غير شبح هزيمة مروعة ، فلجأ إلى الفرار ، وعقد جسرا على الزاب ، فعبره ، وأمر من معه بالعبور ، وكان عبور الخائف من الموت ، جاء مرتبكا غير منظم ، تدافع الناس ، وسياط العباسيين تلهب في ظهورهم ، وسيوفهم تقصف في رقابهم ، ورغم أن مصادر البحث لم تصدر إحصائية لعدد القتلى ، إلا أن عددهم فيما يبدو كثير ، بين قتيل وغريق ، لأن الموقف كان يُملي على عبد الله بن علي ، أن يضغط بشدة مستغلا هزيمة الأمويين ، فكانت معركة زاب الموصل بحق هي بداية النهاية لمروان بن محمد ، كما كانت أيضا بداية تثبيت أقدام العباسيين في مركز الخلافة ، لذا لم يملك أبو العباس السفاح عندما بلغته أنباء الهزيمة ، إلا أن يسجد لله شكرا ، وتلي الآية الكريمة ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ**﴾[٢٤] إلى آخر الآية . وأمر بإعطاء من شهد المعركة خمسمائة ،

---

(٢٢) المصدر نفسه ، ١٢٨ .

(٢٣) الطبري تاريخ الرسل الملوك ، ٤٣٤/٧ .

(٢٤) البقرة ، آية ٢٤٩ .

وأن ترفع أرزاقهم إلى ثمانين[٢٥] ، وقد كانت تلك الهزيمة صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة **١٣٢هـ**[٢٦] .

لم تكن هزيمة مروان بن محمد نهاية المطاف بالنسبة للعباسيين ، لأنه لاتزال تنبض فيه عروق الحياة ، ولايزال الأمل ، يراوده في الانتصار ، لذا قرر عبدالله بن علي أن يتعقبه للقبض عليه أولا ، وثانيا لإخضاع بلاد الجزيرة ، وبلاد الشام ، أما مروان ابن محمد ففر حتى وصل الموصل ، ثم سار منها إلى مدينة حَرَّان ، حيث لم يَهْنأ بالمقام فيها أكثر من نيف وعشرين يوما ، حتى لحقته جيوشُ عبد الله بن علي فتركها ، بعد أن خلف فيها زوج ابنته أم عثمان ، وهو في نفس الوقت ابن أخيه (أبان بن يزيد ابن محمد بن مروان) فدخل أبان في طاعة العباسيين ، وأمنه عبد الله بن علي ، وأمن من معه من أهل حران، والجزيرة ، ووصل مروان بن محمد إلى قِنَّسرْين ، ثم إلى حِمْص ، فلم يتح له عبدالله بن علي الاستقرار ، والمقام في حِمْص ، حيث غادرها بعد وصوله بيومين ، أو ثلاثة أيام ، وبعد أن أظهر له أهل حمص السمع والطاعة ، ولكنهم غدروا به ، عندما رأوا قِلَّة ما معه ، فقاتلوه ، فقاتلهم ، وهزمهم ، فوصل إلى دِمَشْق ، وعليها زوج ابنته أم الوليد، الوليد بن معاوية بن عبدالملك ، ثم شخص إلى الأُرْدنُ ، ووصل إلى فِلَسْطِين ، وعبدالله بن علي في أثره ، ومن فِلَسْطِين سار إلى مصر ، وما زال ينتقل فيها حتى وصل إلى قرية بوصير قوريدُس من كور الأشْمونين في صعيد مصر ، فكتب أبوالعباس إلى عبدالله بن علي بأن يوجه صالح بن علي لمتابعة مروان في مصر ، حتى يتفرغ للعمل على استتباب الأمر في بلاد الشام ، والقضاء على بعض الثورات التي ظهرت في أماكن مختلفة مناصرة لبني أمية .

وصل صالح بن علي إلى مصر ، ومعه من القواد عامر بن إسماعيل الحارثي ، وأبوعون ، وابن فتان ، فَقُتِل مروان بن محمد على يد أحد رجال عامر بن اسماعيل ، يقال له (المعوذ) وكان لايعرفه، فبادر رجل من أهل الكوفة ، فاحتزّ رأسه وبعث به إلى عامر بن إسماعيل الذي بعثه إلى أبي عون ، فارسله أبوعون إلى صالح بن علي ، الذي بعثه مع يزيد بن هانيء ، صاحب شُرَطة إلى أبي العباس السفاح .

---

(٢٥) الطبري المصدر السابق ، ٧/٤٣٤ـ ٤٣٥ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ٧/٤٣٥ .

كان مقتـل مروان بن محمـد ، يوم الأحد لثلاث بقين من ذو الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكان عمره اثنتين وستين سنة[٢٧] ، وخلافته خمس سنين وعشرة أشهر وستـة عشر يومـا[٢٨] ، فأثبت أنه رجل حرب ، صبور على الشدائد ، لم يخضع ، أو يستسلم ، بل ظل يقاوم حتى آخر رمق ، رغم قلة أصحابه ، وتفرقهم من حوله ، وكثرة الفُتُوق ، والرُّتُوق ، التي ظهرت عليه في كل مكان .

وهنـا يبرز سؤال عن مصـير من كانوا مع مروان بن محمد في رحلة المطاردة من أبنائه ، ونسائه ، وأفراد أسرته ، وأشياعه ، وهو أمرٌ لم تغفله المصادر التاريخية .

فاليعقـوبي، يشوب روايته عن مصير أولئك الناس ، الغموضُ ، وتتسم بطابع الإثارة ، وهو في ذلك العرض المؤثر ، لا يُخفي تحامله على العباسيين ، حيث ذكر أنه كان لمروان بن محمـد أربعة أبناء ذكور وهم : عبد الملك وعبد الله ، وعبيدالله ، ومحمد ، توجه عبد الله ، وعبيد الله ليلة قتل والدهما إلى صعيد مصر ، وعبرا منه إلى بلاد النوبة[٢٩] ،حيث لحق بهما جماعة من أشياع بني أمية ، بلغ عددهم أربعة آلاف ، فساروا في رحلة شاقة ، هاموا فيها على وجوهم ، مع نسائهم وبناتهم ، وأخواتهم ، وبنـات أعـامهم ، وفي بلاد النـوبـة أخذوا يمارسون نوعاً من النشاط السياسي ، والعسكـري ضد بلاد السـودان[٣٠] وكـان ملك النُّوبـة[٣١] خائفـا عليهم من مغبة نشاطهم ، وممارساتهم العسكرية ، فحذرهم من ذلك ، وخاف على نفسه إن هم

---

(٢٧) وقيل تسع وستين ، وقيل ثمان وخمسين ، راجع الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٢/٧ ، ويضيف اليعقوبي أنه كان ثمان وستين سنة ، تاريخه ، ٣٤٧/٢ .

(٢٨) للمزيد من التفصيلات عن تتبع مروان بن محمد ، وقتله ، راجع ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٣٢/٧ـ ٤٣٥ ، ٤٣٧ـ٤٤٣ .

(٢٩) بلاد النـوبـة ، أرض واسعـة في جنوبي مصر، تحيط بشرق النيل، وغربه يقول عنها القزويني : «أهلها أمة عظيمة ، نصارى بعامتهم» . آثار البلاد ، ٤٢ .

(٣٠) يصفها القزويني ويقول : «هي بلاد كثيرة . واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر ، وجنوبها إلى البراري ، وشرقها إلى الحبشـة ، وغربها إلى البحر المحيط ، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها ، والحرارة بها شديدة جدا، لأن الشمس لاتـزال مسامتة لرؤوسهم ، وأهلها عراة لايلبسون من شدة الحر ، منهم مسـلمون ، ومنهم كفار . المصدر نفسه، ٢٤ .

(٣١) يذكر القزويني، أن اسمه (كابيل) المصدر نفسه، ٢٤ .

قتلوا ، فقالوا له : « . . نحن نكتب لك كتبا أنَّا وردنا بلادك ، فأكرمت مثوانا ، وأحسنت جوارنا ، وجهدت ألا نبرح من عندك فأبينا حتى خرجنا ونحن لك شاكرون[32] ، فساحوا في البلادوقاتلوا جيوش الحبشة حتى وصلوا بجاوة[34] فتصدى لهم ملك البجة ، وشعروا أنه لاقبل لهم بمواجهته ، فاتجهت أبصارهم الى بلاد اليمن .

لم يُقَدِّم اليعقوبي تبريرا كافيا عن الأسباب التي جعلتهم يفكرون في اليمن ، هل لبعدها عن مركز الخلافة ؟ أم لوجود بعض أشياعهم فيها ؟ مما يجعل الباحث غير مطمئن لدقة معلوماته ، ويزداد قناعة بضعف روايته ، عندما ينقله فجأة إلى اليمن ، دون إعطاء توضيحات عن كيفية عبورهم البحر ، حتى وصلوا إلى أرض اليمن ، ويتحدث عن رحلتهم وهم في طريقهم إلى بلاد اليمن بمبالغة واضحة تثير الشفقة ، والعطف ، وربما يتجاوز الباحث إلى مرحلة الشك في أن تلك الصورة تعبر عن الاحتقار والتهكم ببني أمية ؛ إذ يذكر أن الأمويين ، بينما كانوا سائرين في بلاد الحبشة ، اعترضهم طريقان بينهما جبل ، وأخذ كل واحد من الأخوين طريقاً ظَنًّا أنه سيلتقي بالآخر بعد بُرْهة ، فسارا يوماً كامِلاً ، فلم يلتقيا ، ففكرا في الرجوع ، فلم يقدرا وواصلا سيرهما أياما ، فتعرضت لهم الحَبَشُ ، وهاجموا عبيد الله ، فقتلوه وأسروا من معه ، وتركوهم (بعد أن سلبوا كل ما معهم) يهيمون في البراري عراة ، حفاة ، حتى أهلكهم العطش وبلغ الحد ، أن الرجل يبول في يده ، ويشرب بَوْلَه ، وربما عجن الرَمْلَ ببوله ، وأكله حتى التقوا بعبد الله بن مروان ، الذي كان لايقل عنهم عُرْياً وَجَهْدا ، وكانت معه بعض النساء اللاتي تقطعت أقدامهن من المشي ، وشربن أبوالهن ، فسار معهم اليعقوبي حتى أوصلهم باب المندب حفاة عراة جياعاً ،

---

(٣٢) اليعقوبي : تاريخه ، ٣٤٧/٢ .

(٣٣) يصفها القزويني ، ويقول : «هى أرض واسعة ، شمالها الخليج البربري وجنوبها البر، وشرقها الزنج ، وغربها البجة، وأكثر أهلها نصارى يعاقبه، والمسلمون بها قليل وهم أكثر الناس عدداً، وأطولهم أرضا» ، المصدر السابق، ٢٠ .

(٣٤) البجة ، بلاد متصلة بأعلى عَيْذَاب ، في غرب منه ، أهلها صنف من الحبش ، المصدر نفسه ، ١٨ .

وأقاموا شهرا ، وجمع لهم الناس ما يحتاجون إليه في رحلتهم إلى مكة المكرمة ، التى رحلوا إليها متخفين في زي الحمالين[٣٥]

وهكذا طَوَّف بنا اليعقوبي من بوصير ، إلى النُّوبة ، إلى بلاد البجة ، فنقلنا إلى باب المندب ، ثم عاد بنا إلى مكة المكرمة ، دون أن يقدم لنا ما نحتاجه من ماء ، وزاد ، فأصبحنا كبني أمية عند اليعقوبي ، في عطش وجوع ، وأخذنا نفتش عن الماء والزاد عند الطبري ، الذي ذكر أيضا خبر هروب عبيد الله وعبد الله ليلة قتل مروان ابن محمد ، إلى أرض الحبشة ، ولكنهما لم يكونا موضع حفاوة فقاتلتهما الأحباش ، وقُتِل عبيد الله ، وَسَلِمَ عبدُ الله ، في عدد ممّن معه ، منهم بكر بن معاوية الباهلي ، فبقي عبد الله إلى خلافة المهدي (١٥٨ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) فأخذه نصر بن محمد ابن الأشعث ، عامل فلسطين ، فبعث به إلى المهدي[٣٦] ، ولم يذكر الطبري أي تفصيلات أخرى عن عدد من كان معهما ، ومصير من بقي مع عبدالله ، والبلاد التي التجأوا إليها .

وفي الوقت الذي تلقي فيها رواية الطبري نوعاً مِنْ الغموض على نهاية أولئك الفارين نجد أن ابن عبد ربه في كتاب (العقد الفريد) يكرر ما ذكره اليعقوبي ، مع بعض الإيضاحات البسيطة إذْ يذكر بعضَ أسماء النساء الأمويات اللاتي كُنّ في هذه الرحلة ، مثل : أم خالد بنت يزيد ، وأم الحكم بنت عبيد الله ، وقد كانت صَبيَّة صغيرة ، كما ذكر أنه عندما قُتِل عبيد الله بأرض العدو أسروا ابنته أم الحكم ، وقُتِل رجلٌ من أصحابه ، وتُرِك البقيَّةُ ، بعد أن أُخِذَ سلاحهم ، وعندما وصل من بقي من أصحاب عبيد الله ، إلى البحر ، حيال المندب ، وافاهم عبد الله ، . ووصل عددهم ، ما بين أربعين إلى خمسين رجلاً فيهم : الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون ، وعفّان مولى بني هاشم ، ويوضح ابن عبد ربه سبب اختيار بني أمية لليمن ، ويقول : «ثم أجْمَع ابني مروان على أن يأتيا اليمن ، وقالا : نأتيَها ، قبل أن يأتيها المُسَوِّدَةُ فنتحصن في حصونها ، وندعو الناس»[٣٧] كما ذكر أن عبد الله ابن

(٣٥) تاريخه، ٢/ ٣٤٧ـ ٣٤٨ .

(٣٦) تاريخ الرسل والملوك، ٧/ ٤٣٨ .

(٣٧) ٥/ ٢١٤ .

مروان، عندما أصبح في المندب بعث إلى العدو الذين أسروا ابنة أخيه أم الحكم ففداها، وأضاف أيضاً أنه عندما أُخذ إلى المهدي لجأت إمراته[٣٨] إلى العباس بن يعقوب، كاتب عيسى بن علي، وأهدته لؤلؤا، وطلبت منه أن يكلِّم عيسى بشأنه، وأخبر العباس عيسى بذلك، وعندما هم المهدي بقتله، قال عيسى: إنّ له في أعناقنا بيعة، وقد أعطى كاتبي قيمة ثلاثين ألف درهم، فاكتفى المهدي بحبسه[٣٩].

المسعودي، حاول أَنْ يُقَدِّم سَرْداً، وتفسيرا لهذه الأحداث قد يكون أكثر وضوحا من سابقيه، وتزداد روايته أهمية في تحديد الأماكن التي اتجهوا إليها في هذه الرحلة، إذا عرفنا اهتمامه بالرحلة، وجغرافية الأرض حيث ذكر أنّ مِمَّن تبع عبد الله، وعبيد الله أهلهما، ومواليهما وخواصهما، من العرب، وأشياعهما من أهل خراسان، فاتجهوا بمحاذاة النيل إلى أسوان، من صعيد مصر، ثم ساروا في أرض النوبة حتى وصلوا إلى أرض البجة، وساروا باتجاه باضع[٤٠]، من ساحل بحر القُلْزُم[٤١] يقول المسعودي: «وكانت لهم مع من مَرّوا به من هذه الأمم حروب، وغارات، ونالَهم جَهْدٌ شديد، وضرٌّ عظيم، فهلك عبيد الله بن مروان في عدة من كان معهم، قتلاً وعطَشا، وضرّاً وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب»[٤٢] كما يذكر المسعودي وصول عبدالله مع الناجين إلى باضع من ساحل المعدن، وأرض البجة، ثم قطع البحر إلى جدّة، ومن ثم مكة المكرمة، فعاشوا في بلاد الحجاز عيشة الكفاف مستترين عن أعين الناس، فقُبض على عبد الله، في أيام أبي العباس السفاح، وأُودع السجن، وبقي فيه بقية أيام أبي العباس، وطيلة أيام المنصور والمهدي والهادي، وإلى أن أخرجه هارون الرشيد، وقد أصبح شيخا ضريا فهلك في أيامه، وقيل أيام الأمين[٤٣].

---

(٣٨) هي بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم.

(٣٩) ٥/٢١٤-٢١٥.

(٤٠) يقول البكري: «باضع، موضع بساحل الحجاز» معجم ما استعجم، ١/٢٢١، أما ياقوت، فإنه يذكر باضع جزيرة في بحر اليمن، معجم البلدان، ١/٣٢٤.

(٤١) هو البحر الأحمر، حاليا.

(٤٣) التنبيه والاشراف، ٢٨٥ - ٢٨٦.

وقبـل أن نختم هذه الفقرة، نشير إلى رواية ذكرها ابن الأثير[٤٤]، حول نساء مروان ابن محمد وبناته ، فقد أشار إلى أنهن كنَّ ليلة مقتله ، في إحدى الكنائس في بوصير حيث أوكل مروان بن محمد إلى أحد أتباعه بقتلهن إن هو قتل ، حتى لايتعرضن للإمتهان ، فعثر عليهن ، عامُر بن إسماعيل الحارثي ، وبعث بهنّ إلى صالح بن علي فطلبن منه الرأفة : والرحمة ، وذكَّرنه بالقرابة والرّحم ، وتكلمت في ذلك أبنه مروان الكبرى ، وقالت له : نحن بناتك وبنات أخيك ، وابن عمك فَلْيَسعنا من عَفْوك ، ماوَسِعَكم من جورنا . فنالت إعجاب صالح بن علي ، وتقديره ، وعرض عليها أن تتزوج من ابنه ، إلاَّ أنها فَضّلت مع بقية النساء الذهاب إلى حَرَّان ، فحملهن إلى حيث أردن ، ولم يعرضهن لسوء .

ثورات قواد بني أمية :

نعـود ، ونتسـائـل هل وضعت هزيمـة مروان بن محمـد حداً لمخاوف ، وقلق العباسيين ؟ سير الأحداث التالية يكشف أن النبض في عروق بعض القادة المخلصين لبني أمية مستمر والأمل في النصر لازال معقودا ، فهزيمة ، مروان بن محمد لاتمثل نهاية المطاف ، وبلوغ اليأس ، فلا زال منهم بقية تستطيع أن تتسلم الراية ، وتقود دفـة المقـاومـة ، وقـد كان العبـاسيون يدركون هذا الوضع ، الأمر الذي جعلهم يستمرون في سياسة العنف والقمع ، ما دامت المقاومة عنيفة ، ومادام الخطر قائما ، ففي مدينة واسط ، كان يتحصن القائد الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومعه جمع من أنصاره الأمويين ، من أهل الشام ، فوجه له العباسيون أبرز قوادهم في تلك المرحلة ، الحسن بن قحطبة الطائي ، وإلى جانبه بعض القواد البارزين ، أمثال : أبونصر مالك بن الهَيْثم ، ورغم إمكانات ، واستعدادات الحسن بن قحطبة ، إلا أنـه لم يستـطع حسم المـوقف لصـالـح العباسيين ، فاستمرت الحرب سجالا بين الفريقين ، وقد أكد الحسن بن قحطبة فشله في القضاء على مقاومة ابن هبيرة ، عندما عجز عن كسب ود جنده من الخراسانية ، الذين كتبوا لأبي العباس يطلبون منه أن يولي عليهم قائدا آخر ، ومن أهل بيته ، فوجه أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور،

(٤٤) الكامل في التاريخ ، ٤٢٧/٥ ـ ٤٢٨ .

إدراكا منه لأهمية الموقف ، وخطورته ، وضرورة حَسْمه ، ولكن هل نجح المنصور فيما فشل فيه ابن قحطبة ؟ أظهرت الأحداث أن المنصور رغم التفاف الخراسانية حوله لم يكن أوفر حظا من سابقه ، بل استمر الوضع بين هزيمة ونصر لكلا الفريقين دون حسم ، وبعد أحد عشر شهرا من المحاجزة ، والمناجزة تنفس العباسيون الصعداء ؛ عندما قُتل رمز المقاومة الأموية ، مروان بن محمد في مدينة بوصير ، فأعلن النبأ في أهل الشام ، الذين لازالوا يقاومون في مدينة واسط بقيادة ابن هبيرة ، وقيل لهم : عَلاَمَ تقْتُلون أنْفسكم ، وقد قُتل مروان فأسقط في أيديهم ، وانهارت معنوياتُهم ، وضعفت مقاومتُهم ، فبادر معن بن زائدة الشيباني ، وطلب الأمان من المنصور فأمّنه ، ثم تبعه ابن هبيرة في طلب الأمان ، فأمّنه المنصور ، واشترط عليه إن نكث أو غدر فلا أمان له(٤٥) والمنصور بهذا الموقف إنما يعبر عن إسلوب المهادنة والموادعة ، وهو أحد الأساليب التي واجه بها العباسيون المقاومة أو الأزمة الأموية ، ولكن هل استكان يزيد ، وقَدّر للعباسيين ذلك الموقف ؟ رواية البلاذري تشير إلى أن تحركات يزيد لم تتوقف ضد العباسيين ، فهو عندما فقد الأمل في الأمويين ، مَدَّ جسورا من التعاون مع العلويين ، الذين أخذوا يناصبون بني العباس العِداء ، لأنهم يرون أنفسهم أحق بالخلافة ، فراسل محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأثاره ضد العباسيين فوقف أبو العباس على هذه الحقيقة وألح عليه أبو مسلم الخراساني ، (الذي كان يعيش قمة مجده في هذه الفترة) على ضرورة التخلص من يزيد ، فكتب أبو العباس إلى أخيه المنصور ، في قتله ، فتردد المنصور في بادىء الأمر للأمان الذي كتبه له ، إلا أن أبا العباس كَرّر عليه مرة أخرى ، فقتل يزيد ، وقتل معه ابنه داود ، وكاتبه عمر بن أيوب ، ومن كان معه من أعوانه ، ما عدا أبو علاقة الفزاري ، وهشام بن هبيرة ، وصفوان بن يزيد ، الذين فروا من المذبحة ، فلحق بهم ، سعد بن شعيب ، أحد قواد أبي جعفر فقتلهم(٤٦) يحدد صاحب

(٤٥) البلاذري : أنساب الاشراف ، ٣/١٤٥ ، وراجع نص الأمان في كتاب الإمامة والسياسة ، ٢/١٢٦-١٢٩ ، وانظر أيضا ابن خلدون : تاريخه ، ٣/١٧٥-١٧٦ .

(٤٦) البلاذري : أنساب الاشراف ، ٣/١٤٥-١٥٠ ، وابن خلدون ، العبر ، ٣/١٧٥-١٧٦ .

كتاب الإمامة والسياسة عدد قتلى هذه المذبحة بخمسين رجلا ، من وجوه أصحاب يزيد ثم بعد ذلك أعلن المنصور الأمان للناس جميعا[٤٧] .

أما في قنسرين ، فقد استغل قائد من قواد مروان بن محمد ، وفرسانه ، وهو أبو الورد مجزأة بن الكَوْثر بن زِفْر بن الحارث الكلابي[٤٨] ، فرصة مضايقة بعض فرسان عبدالله بن علي ، من الخراسنية لأولاد مَسْلمة بن عبد الملك[٤٩] ، وذكر أنه كانت بمدينة بالِس[٥٠] ابنة لمسلمة بن عبد الملك ، خطبها عامل عبد الله بن علي ، وهو من أهل خراسان فأظهرت له الموافقة ، ولكنها استجارت بأبي الورد ، فخرج أبو الوازع في جماعة ، وجاءوا بالِس ، فقتلوا العامل الخراساني ، وهو في الحمام ، فأشعل هذا الموقف فتيل الفتنة ، حيث لحق أبو الورد بأخيه ، ودعا الناس للثورة ضد العباسيين ، وشايعته قبيلة قيس ، وبلغ عدد أنصاره حوالي سبعة آلاف مقاتل[٥١] .

أما الطبري ، فقد ذكر سببا آخر يختلف عما ذكره البلاذري ، وهو أن ولد مسلمة ابن عبد الملك كانوا مجاورين ، لأبي الورد في بالِس ، والنَّاعورة ، فقدم بالِس أحد قواد عبد الله بن علي ومعه مائة وخمسون فارسا ، فضايق ولد مسلمة ، فشكوا ذلك إلى أبي الورد ، الذي كان في مزرعة له يقال لها (زرَّاعة بني زفر) ، أو (خساف) فخرج مع بعض أفراد أسرته ، وهجموا على ذلك القائد ، فقاتلهم ، فقتلوه مع أصحابه ، ثم أعلن أبو الورد الثورة ضد العباسيين[٥٢] .

وأيًّا كان الأمر ، فإن قصة أبناء مسلمة بن عبد الملك ، هي الشرارة التي أشعلت

---

(٤٧) ١٣١/٢ .

(٤٨) حسب رواية الطبري ، في تاريخه ، ٤٤٣/٧ ، وكذلك ابن كثير ، في البداية والنهاية ٥٢/١٠، أما البلاذري فقد ذكر أن اسمه مَجْزأة بن هذيل زفر الكلابي، راجع المصدر السابق ١٦٩/٣ وكان مجزاة هذا ، ممن بايع عبدالله بن علي ، فأقره على مدينة قنسرين ، راجع الطبري ، المصدر السابق ، ٤٤٣/٧ ، وابن كثير : المصدر السابق ، ٥٢/١٠ .

(٤٩) الطبري : المصدرالسابق ، ٤٤٣/٧ .

(٥٠) بالِسُ : بلدة بين حلب والرَّقة ، على ضفة الفرات الغربية، ياقوت: معجم البلدان ٣٢٨/١ .

(٥١) أنساب الاشراف ، ١٦٩/٣ .

(٥٢) تاريخ الرسل والملوك، ٤٤٣/٧ .

الفتيل ، ويبدو أن أبا الورد كان يترصد الفرصة للخروج على العباسيين ، إذ أنّ في مقدوره إنهاء تلك المضايقات بإسلوب ودِّي ، خاصة وأنه محسوب في تلك الفترة على العباسيين ، فهو أحد أتباعهم ، وعمّالهم على قِنَّسْرين ، مما يُمَكِّنه من حل الموضوع ، دون حمل السلاح ، ولكنه لجأ لحمله ، وفجر الثورة ضد العباسيين .

سمح أبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية(٥٣) ، بخروج أبي الورد ، فادّعى أنه هو السفياني ، الذي يُرْوَي أنّه يَرُدّ دوْلة بني أمية ، ونزل دَيْرَحَنّا ، فبايعه الناس ، وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، يدعوه للخروج ، إلا أن هشـاما اعتذر بالمرض ، فأراد أبو الورد ، أن يستغل تفاعل السفياني ، وحماسه ، فتحالف معه ، وأصبح زياد ، هو واجهة الثورة ، وأبو الورد بمثابة وزيره . .

اتسعت الثورة ، وتفاقم خطرها ، بعد انضمام أبي محمد ، الذي لحقت به جموع من أهل حمص ، وتَدْمر ، وحلب، بلغت حوالي أربعين ألف مقاتل(٥٤) ، مما أقلق العباسيين، خاصة بعد هزيمة عبد الصمد بن على، الذي بعثه أخوه عبدالله بن علي، في عشرة آلاف مقاتل، فقُتل ألوف من أصحابه حسب رواية الطبري(٥٥)، وكان على العباسيين مواجهة هذه الثورة بعنف ، والوقوف منها بحزم .

وَحّدَ عبدُالله بن علي جهُودَه ، وتفرغ للقضاء عل تلك الثورة، وضم إليه أبرز قواده ، أمثال: حميد بن قحطبة ، وعبد الصمد ، ودارت المعركة بين الفريقين يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة ، من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، عند مَرْج الأخرم ، وكان على ميمنة أبي محمد ، أبو الورد ، وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، ورغم هزيمة بعض أصحاب عبد الله بن على إلا أن أهل الشام انهزموا في نهاية الأمر(٥٦) ، ويذكر الطبري ، في إحدى رواياته ، ان أباالورد ثبت في نحو خمسمائة من أهل بيته ،

---

(٥٣) يذكر البلاذري، أن هذا هو الثابت في اسم السفياني، وينفي أن يكون اسمه العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية، (أنساب الاشراف، ٣/١٦٩ـ ١٧٠) .

(٥٤) الطبري : المصدر السابق ، ٧/٤٤٤، وابن خلدون: العبر ٣/١٧٤ .

(٥٥) تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٤٤ .

(٥٦) البلاذري : أنساب الاشراف ، ٣/١٧٠ .

وقومه ، فقُتلوا جميعا[٥٧] ، بينما جاء عند البلاذري[٥٨] ، وفي رواية أخرى للطبري[٥٩] أيضاً أن أبا الورد خرج، وحُمِلَ إلى أهله، ومات، أمّا أبو محمد السفياني فقد هرب ، مع جماعة من بني كلب ، ولحق بتدمر[٦٠] ، ثم اختفى بعد ذلك في المدينة ، حتى تعرف عليه عاملها من قبل المنصور، زياد بن عبيد الله الحارثي ، فوجه إليه جماعة لاسره فقاومم، ورماه رجل منهم بسهم ، صاب ساقه فسقط واعتورته سيوفهم ، وقتلوه ، فقاوم ابنه مَخْلد ، وقاتل حتى قُتل ، وصُلب مع أبيه[٦١] .

نجح عبد الله بن علي في القضاء على مشكلة أبي الورد ، ولكن بعد أن فقد عددا غير قليل من جنده ، مما حدا به إلى تجنب المزيد من الخسائر ، وتجنب المزيد من الموتورين الناقمين ، فآثر جانب الرِّفق بالناس ، وتأليف قلوبهم ، ولم يتعرض لأهل قنسرين بسوء فنادى بأمانهم ، وأظهروا له الطاعة ، واتخذوا السواد شعارا لهم ، ولعل عبد الله بن علي كان يترسم خطى السياسة العباسية التي تهدف إلى المحافظة على كيان الدولة ، ومكتسباتها ، باستخدام إسلوب الشدة والقسوة حينا والمهادنة حينا آخر .

كانت الدولة العباسية تسير على أمواج عاتية متعاقبة ، في بحر من المشكلات والاضطرابات ، في بلاد الشام ، والأقاليم المجاورة لها ، فلا تكاد تنتهي مشكلة حتى تبرز أخرى ، وربما تزامنت ، وتشابكت المشكلة مع الأخرى ، حتى يُخَيَّل للإنسان أنها وصلت إلى درجة من التعقيد ، يستعصي حلها ، أو السيطرة عليها ، ولم يكن لتلك المشكلات أن تنتهي لولا قادة بارزون من أفراد البيت العباسي ، أمثال : عبدالله بن علي ، الذي عُرف بصلابة موقفه ورباطة جأشه ، مما يدعونا إلى القول ، بأن الأحداث أثبتت نجاح الخطة العباسية ، عندما أسندت القيادة العليا في هذه المرحلة بالذات ، إلى رجال من أفراد البيت العباسي ، أمثال : عبد الله بن علي

---

(٥٧) المصدر السابق، ٤٤٥/٧ ، وقد أشار إلى أن المعركة وقعت في سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) .

(٥٨) المصدر السابق ، ١٧٠/٣ .

(٥٩) المصدر السابق ، ٤٤٥/٧ .

(٦٠) المصدر السابق ، ٤٤٤/٧ .

(٦١)(البلاذري ، المصدرالسابق ، وابن خلدون : العبر، ١٧٤/٣ .

وصالح بن علي ، وداود بن علي ، وسليمان بن علي وعبدالصمد بن علي ، وأبوجعفر المنصور .

ولعل الخطوة التالية من البحث تُبْرز ، كيف تشابكت المشكلات ، فتداخلت على العباسيين ، وأخذ بعضها برقاب بعض ؛ ففي الوقت الذي ظهرت فيه مشكلة قِنّسرين ، كان عبد الله بن علي يصارع مشكلة أخرى ، أثارها قائد آخر ، من قواد مروان بن محمد وفرسانه هو حبيب بن مرّة المرّي ، الذي أعلن الثورة في البلقاء (البَثْنِيَّة ، وحَوْران) ، بحجة الخوف على نفسه ، وعلى قومه ، من العباسيين ، وشايعته قبائلُ قيس فوقف ضده عبدُ الله بن علي عدة وقفات إلا أنه لم يتمكن من حسم الموقف لصالحه حتى فوجىء بإعلان أبي الورد الثورة في قِنّسرين ، بل هزيمة أخيه عبدالصمد بن علي ، وقتل الألوف من جنده ، فوقّع الصلحَ مع حبيب ابن مرة ، وأمّنه ، ومن معه ، واتجه بجنده إلى قِنّسرين[٦٢] .

وفي طريقه لإخضاع ثورة قِنّسرين ، رغب عبد الله بن علي ، أن يطمئن على أهله وثَقَلِه في دمشق ، وأن يُنِيب عنه من يقوم بأمرها حتى عودته ، فعرج عليها ، واستخلف (أبا غانم عبد الحميد بن ربْعيّ الطائي) في أربعة آلاف من الجند ، وخُيّل إليه أنه أَمِن العاقبة ، ولكنه لم يكد يجتازها ، ويصل إلى حمص ، حتى أعلن أهلُها خلْعَ طَاعة أبي العباس ، ورفعوا شعار الأمويين وقتلوا عامله (أباغانم الطائي) ، مع مجموعة من أصحابه ، وهم وإن لم يتعرضوا لأهله بسوء ، إلا أنهم انتهبوا ثِقَلَه وحواصله ، يقول ابن كثير : «فتفاقم الأمر على عبد الله»[٦٣] .

ويبدو أن ثورة دمشق لم تكن في خطورة ثورة أبي الورد في قِنّسرين ، لذا آثر عبدُ الله بن علي القضاءَ على أبي الورد أولا ، وفعلا عندما تحقق له النصر ، وكَرّ راجعا إلى دمشق ، وسمع أهلُها ما حل بقِنّسرين ، تفرقوا ، وانهارت مقاومتهم وآثروا

---

(٦٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٦/٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ١٧٣/٣ .

(٦٣) البداية والنهاية ، ٥٢/١٠ .

السلامة ، ولم يكن عبدُ الله بن علي في موقف يدعوه لتتبعهم والبطش بهم ، بل آثر المهادَنَة ، فأمّنهم ، واكتفى بعودتهم إلى طاعته مرة أخرى[64] .

سمع أهل الجزيرة خبر خروج أبي الورد في قنسرين ، وانشغال العباسيين بمناجزته ، فاستغلوها فرصة ، وأعلنوا بدورهم الثورة[65] ، وكان عامل حَرّان من قِبلَ العباسيين هو (موسى بن كعب) في ثلاثة آلاف من الجند فساروا إليه ، من كل صوب ، وحاصروه مع جنده ، وقد كانوا بلا زعيم يقودهم ويوجههم ، مما يعني أن ثورتَهم ضد العباسيين ، لم توجهها مؤثِّراتٌ خارجيةٌ أو قيادةٌ بارزةٌ ، بل الرفض للحكم العباسي ، وبقوا بلا زعيم ، حتى قدم إليهم أحد قواد مروان بن محمد ، الذين فروا إلى أرمينية ، إثْرَ مقتله ، وهو إسحاق ابن مسلم[66] العُقَيلَي ، فَرَأَسَّهَ أهلُ الجزيرة عليهم ، وحاصروا عامل حران أكثر من شهرين ، فاشتعلت الثورة في كل مكان من الجزيرة ، في قَرْقيسياء ، والرُّها ، ودارا ، وماردين ، وسُمَيْسَاط ، كلها خلعت طاعة العباسيين ، ورفعت شعار بني أمية .

قاد إسحاق ستين ألف مقاتل ، من أهل الجزيرة يقف إلى جانبه ، ويشد من أَزْرِه ، أخوه (بكّار بن مسلم) مما أثار مخاوف أبي العباس ، الذي قرّر أنّ يرمي إسحاق وجموعة ، بابرز شخصيتين في البيت العباسي ، وهما : أخوه أبوجعفر المنصور ، وعمه عبدالله بن علي .

في الوقت الذي أقبل فيه عبدُالله بن علي بجنوده ، من بلاد الشام ، كان أبوجعفر المنصور يتنقل من مدينة إلى أخرى من مدن بلاد الجزيرة، مع جنده الذين سبق وأن حاصوا بن هبيرة في واسط ، فوصل إلى قَرْقيسياء ، فأغلق أهلُها البابَ دونه ، ثم قدم مدينة الرَّقة ، ووجد أهلَها مبيِّضين ، بزعامة بكّار بن مسلم ، ورحل إلى حران التي تركها إسحاق بن مسلم إلى مدينة الرُّها ، وكان ذلك في سنة ١٣٣هـ ، وفي حران انضم عاملُ العباسيين المحاصَر ، موسى بن كعب ، بمن معه إلى جيش أبي جعفر

(٦٤) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٤/٧ ، وابن كثير : المصدر السابق ، ٥٢/١٠ .

(٦٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٤٦/٧ .

(٦٦) يطلق عليه ابن الاثير ، اسم (سَلْم) ، راجع (الكامل في التاريخ ، ٤٣٤/٥) .

المنصور ، فاشتبك في هذا الأثناء أبوجعفر المنصور في معركة مع جماعة من ربيعة ، في دارا ، ومـاردين ، بزعـامة رجل من الحرورية ، يُقال له (بُرَيْكَة) ، ولم يستطع بكّاربن مسلم ، الذي وصل لنجدة بُرَيْكة ، انقاذه من الهزيمة ، ثم القتل على يد أبي جعفر المنصور ، فرحل بكّارُ إلى أخيه إسحاق في الرُّها ، وخَلّفَه عليها ، فمضى إسحاقُ إلى سُمَيْساط ، حيث تحصن بها ، وحفر خندقا حولها ، ووصل في هذه الفترة عبدُ الله بن علي ، ونزل بإزائه ، على الضفة الأخرى ، من نهر الفُرات .

حاصرت جيوش العباسيين إسحاق في سُمَيْساط قرابة سبعة أشهر ، وهو صامد يأبى الاستسلام ويقول : في عنقي بيعه ، فأنا لا أدعها ، حتى أعلم أن صاحبها مات ، أوقُتـل ، فكتب إليه أبوجعفر المنصور ، . أن مروان قد قُتل فقال : حتى أَتَيَقّن ، فلما تيقَّن من ذلك ، طلب الصلح ، وقال : قد علمت أن مروان قد قتل ، فكتب المنصور بذلك إلى أبي العباس السفاح ، الذي أمر بتأمينه ، وتأمين من معه ، فتم ذلـك ، وكتب كتابا بالصلح ، فاستسلم إسحاقُ ، وقرَّبه أبوجعفر ، وأصبح عنده من آثر أصحابه[٦٧] .

وهكذا أثبت إسحاق بن مسلم ، أنه قائد مخلص يحترم العهودَ والمواثيقَ ، فلم يكن يطمع في تحقيق مكاسب خاصة ، بقدر طمعه أنْ يَشُدّ من أزر سيِّده مروان ابن محمد في مقاومته للعباسيين ، ولعل هذه الروح المخلصة كانت سببا في احترام المنصور له ، واستخلاصه لنفسه ، وتقريبه إليه .

تجنبت مصـادرُ البحث النص على اسم من تولى القيادةَ العـامَّـة أثنـاء محاصرة سُمَيْساط ، هل هو أبوجعفر المنصور ، أم عبدالله بن علي ؟ أم أنّ كل واحد منهما كان مستقـلا بمن معـه من الجنـد ، ولكنّ سير الأحداث يشيرُ إلى ان الشخصية البـارزةَ ، هي شخصيةُ أبي جعفر المنصور ، فهو حسب رواية الطبري الذي وقّع الصلح مع إسحاق بن مسلم ، بعد موافقة أبي العباس السفاح ، وإن كان ابن الاثير قد أشار إشارة عابرة إلى أنّ عبدالله بن علي ، هو الذي وقع الصلح مع إسحاق بن مسلم[٦٨] .

---

(٦٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٧/٤٤٦-٤٤٧ .

(٦٨) الكامل في التاريخ ، ٥/٤٣٥ .

أُسندت ولايةُ إقليم الجزيرة بعد تلك الأحداث إلى أبي جعفر المنصور ، إضافة إلى إقليمي أذربيجان ، وأرمينية[٦٩] ، مما يشير إلى أهمية هذه الأقاليم وقد عمل المنصورُ جاهِدا على استقرار الأمر في تلك الاقاليم للدولة العباسية .

لم تتحدث المصار التاريخية عن ممارسات قمعية قام بها العباسيون ضد أهالي إقليم الجزيرة ، عدا المواجهة التي كانت بين أبي جعفر المنصور ، وبُرَيْكه ، زعيم الحرورية ويبدو أن العباسيين ، لم يَرَو ضرورةً للعنف ، ما دامت تلوحُ في الأفق بادرةُ سِلْمٍ تُحْقن بها دماء المسلمين .

وقبل أن ينتهي الحديث عن هذه الفقرة ، هناك رواية أوردها ابن العديم ، ذكر فيها أن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، قاد أربعة آلاف مقاتل ، من نخبة من كانوا مع إسحاق بن مسلم العُقَيْلي ، ودخل بهم سُمَيْساط فوجه إليه عبدُ الله بن علي ، حميدَ بن قحطبة فهزمة ، ودخل سُمَيْساط[٧٠] .

تلك أبرز مظاهر المقاومة الأموية ، وموقف العباسيين منها ، حيث زاوجوا فيه بين أسلوب القمع والشدة ، وأسلوب المهادنة والموادعة ، ضمن السياسة العامة التي اختطوها لأنفسهم في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ دولتهم ، وقد استغرقت تلك المقاومة عامي ١٣١هـ ، ١٣٢ هـ ، وجزءاً من عام ١٣٣هـ ، ورغم قِصَر هذه المدة قياسا بعُمِر الدولة العباسية الذي استمر أكثر من خمسة قرون ، إلا أنها كانت فترةَ خَطَرٍ أثار مَخاوِفَ العباسيين ، وهدَّدَ دولتَهم .

انهيار المقاومة :

ننتقل إلى وجه آخر من أوجه المقاومة الأموية ، برزت فيه المواجهة العباسية أعنف وأقوى ، حتى يمكن وَصْفها في بعض مراحلها بالتصفية الجماعية لبني أمية ، ومما يلفت النظر أن أحداث هذه المرحلة ، كانت مثار اختلاف بين المؤرخين تباينت رواياتُهم ، واختلفت آراؤهم .

(٦٩) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٧/٧ .

(٧٠) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٥٦/١ .

أحداث دمشـق :

أثناء مطاردة عبد الله بن علي ، لمروان بن محمد ، مر بدمشق ثم تركها بعد أن خلّف عليها صهره (الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان) فقدم عبدُ الله ابن علي ، وهو يدرك أن عاصمة الأمويين لن تستسلم له بسهولة وأن سقوطها على يده ، سيكون عامِلَ ارتياح للعباسيين ، وإضعاف لمقاومة الأمويين .

نزل عبد الله بن علي المَزَّة ، وكان بحاجة إلى تعزيز قواته ، وفعلا وصله مددٌ قِوَامُه ثمانية آلاف مقاتل ، بقيادة أخية صالح بن علي ، فضرب الحصار على دمشق ، ووزّع أعـوانـه من القـواد على مختلف أبـوابها ، أخوه صالح بن علي ، على باب الجابية وأبوعون ، على باب كيسان ، وبسام بن ابراهيم ، على باب الصغير ، وحميد ابن قحطبة ، على باب توما ، وعبدالصمد بن علي ، ويحيى بن صفوان ، والعباس ابن يزيد ، على باب الفراديس[٧١] .

استمر الحصار خمسة أشهر ، وفي رواية مائة يوم ، وفي رواية شهر ونصف[٧٢] ، فلم يستطع العباسيون اقتحامها ، حتى وقع الخلافُ بين أهلها ، حيث انقسموا إلى فريقين ، فريقٌ يؤيد العباسيين ، وآخر يؤيد الأمويين ، وقد كانت قيسُ أكثرَ موالاة للأمويين ، بينما تميل القبائلُ اليمانية إلى العباسيين ، تطور الانقسامُ إلى اشتباك بين الفـريقـين ، فَقَتـل بعضُم بعضـا ، حتى أن عامـل الأمـويين ذهب ضحية هذا الخلاف ، حيث قُتل في إحدى هذه الاشتباكات[٧٣] ، وقد بلغ عمق الخلاف بين سكـان دمشق ، أو بين القيسية واليمانية ، أنهم وضعـوا في كل مسجـد محرابـين ومنبرين ، فيصلي أولئك بخطبة ، وإمام ، وهؤلاء بخطبة وإمام[٧٤] .

استغل عبدُ الله بن علي هذه الفرصة ، وبدأ اتصالاته باليمانية ، واتفق معهم على

---

(٧١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٤٠ .

(٧٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١٠/٦٤٩ .

(٧٣) الطبري : المصدر السابق ، ٧/٤٤٠ ، وابن عساكر: المصدر السابق، ١٠/٦٤٩، وابن كثير البداية والنهاية، ١٠/٤٤ .

(٧٤) ابن عساكر : المصدر السابق ، ١٠/٦٥٠ .

فتـح الأبـواب ، على أن يُمَيِّزوا أنفسَهم عن القيسية بلُبس اللونِ الأصفر ، حتى لايقتلهم الجنـدُ ، عنـد دخـول دمشق ، وفِعْـلاً نُفِّـذَ الاتفـاق ، وفتحت اليمانيةُ الأبـوابَ ، وأُوكل حفظُ الأبوابِ إلى عبيد الله بن الحسن ، من ولد جعفر بن أبي طالب الهاشمي الأعرج ، ومعه خمسة آلاف من الجند فدخل عبدُالله بن علي دمشق منتصرا يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة ١٣٢هـ ، وكان الجند الخراسانية ، ينادون «يا محمد يا منصور نكس ، نكس ، وهاد ، وهاد ، يعني اقتلوا ، اقتلوا ، وتتفق كثيرُ من المصادر التاريخية ، على أن عبدالله بن علي أوقف القتال بعد ثلاث ساعات ، من دخوله دمشق(٧٥) ، ولكنها تختلف حول الأسلوب الذي عامل به أهلَ دمشق ، وتصوير ما أحدثه فيهم من مذابح ، يذكر اليعقوبي أن أهل دمشق وسَّطوا ، أثنـاء الحصار ، يحي بن بحر ، أحد المقبولين لدي العباسيين ، في طلب الأمان ، فاستجاب لهم عبدُالله بن علي ، فخرج الناس ، مستبشرين بالأمان ، وبينما كان عبدالله بن علي يهمّ بكتابة الأمان ضَرب ببصره تجاه دمشق ، فإذا بالسور ، قد غشيته المُسَوِّدَةُ ، فنكث عهده ، وقال : دخلتها قسرا(٧٦) ، ولا يَخْفي الاتهامُ الواضحُ ، في هذه الرواية ـ لعبد الله بن علي بالغدر والخيانة ، ومما يجعل الباحث يتردد في قبولها ، ما عُرف عن اليعقوبي من نظرة غير موضوعية تجاه العباسيين ، بسبب ميوله العلوية .

لايستـطيع البـاحثُ من خلال استعـراضه للروايات المختلفة ، أنْ ينكر ، أن عبـدالله بن علي لجأ إلى إسلوب العنف في معاملته لأهل دمشق قاعدة بني أمية ، فاستغـل الفرصَة ، وقضى على عدد غير قليل ، من أفراد البيت الأموي ، بصفة خاصة ، وفي الوقت الذي أغفلت فيه بعضُ المصادر(٧٧) ، ذكر عدد قتلى بني أمية في دمشق ، وصلت مصادر أخرى ، إلى درجة المبالغة ، عندما ذكرت أن عبدالله ابن علي قضى في ثلاث ساعات فقط على خمسين ألف من أهل دمشق(٧٨) وذكر بعضها أن

(٧٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٧/ ٤٤٠، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/ ٤٢٥، والذهبي : تاريخ الاسلام، حوادث ووفيات (١٢١-١٤٠هـ)، ٣٣٩، وابن كثير : البداية والنهاية، ١٠/ ٤٥ .

(٧٦) تاريخه . ٢/ ٣٥٦ .

(٧٧) مثل : الطبري : المصدر السابق، ٧/ ٤٤٠، والمقدسي : البدء والتاريخ ، ٦/ ٧١-٧٢، وابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١٠/ ٦٤٩- ٦٥٠، وابن الأثير المصدر السابق ، ٥/ ٤٢٥ .

(٧٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٦/ ١٦١ ، وابن كثير : المصدر السابق ١٠ : ٤٥ .

عدد القتلى كثير، منهم ثمانين من ولد مروان بن الحكم فقط[٧٩] ، كما أشار البعض ، إلى أنّ عدد القتلى من بني أمية جاوز ثمانين نَفْسا[٨٠] ، كما أشار البعض إلى أن أبا العباس السفاح شارك في تقتيل بني أمية ، أسرى دمشق ، عندما بعث إليه عَمَّه عبدُ الله بن علي يزيد بن معاوية بن مروان ، وعبدَالله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبدالملك ابن مروان ، فقتلهما أبو العباس ، وأمر بصلبهما في الحيرة[٨١] بل إن مؤرخا مثل المقدسي يذكر ، أن عبدالله بن علي بعث بجميع من ظفر به ، من بني أمية ، ومن أولادهم ، ومواليهم ، ومواليهم إلى أبي العباس ، فقتلهم وصلبهم جميعا في الحيرة[٨٢] ، ولايتردد مؤرخ آخر ، هو ابن أعثم الكوفي ، في اتهام أبي العباس أيضا بأنه كتب إلى عمِّه عبدالله بن علي ، وكرر عليه ألا يدع من بني أمية أحدا ، يقدر عليه إلا قتله[٨٣] ، وفي اتهام آخر ، ذكر بأنه كتب إليه بنبش قبور بني أمية ، وإخراج عظامهم[٨٤] ، مُبْرِزا بذلك أن عبد الله بن علي كان يتصرف حسب أوامر أبي العباس ، وتوجيهاته ، بما في ذلك تقتيلهم ، ونبش قبورهم ، وهي اتهامات لم يستطع مؤرخ مثل اليعقوبي أيضا اخفاءها ، عندما ذكر أنّ أبا العباس السّفاح كتب إلى عمه عبدالله بن علي ، عندما دخل دمشق «خذ بثأرك من بني أمية» ، يقول اليعقوبي : «ففُعل بهم مافُعل ، وَوَجّه فنبش قبور بني أمية»[٨٥] .

أمام هذه الاتهامات لأبي العباس السفاح ، يقف مؤرخ آخر ، هو صاحب كتاب الإمامة والسياسة ، فيدافع عنه ، ويُبَرِّؤه من جريرة ما ارتكبه عبدالله بن علي ، ضد بني أمية ، في الشام ، أو في فلسطين ، ويذكر أن أبا العباس السفاح لم يكن راضيا عما كان يفعله عمه عبدالله ببني أمية ، أو على الأقل بالصالحين منهم ، ممن ليس لهم أطماع سياسية ، فعندما علم بقتل، واستصفاء أموال عبدالواحد بن سليمان ، الذي

(٧٩) الدينوري : الأخبار الطوال، ٣٦٦ .

(٨٠) ابن خياط : تاريخه . ٤٠٤ .

(٨١) محمد بن حبيب : المُحَبَّر، ٤٨٦، وابن خياط : تاريخه، ٤٠٣-٤٠٤ .

(٨٢) البدء والتاريخ ، ٧٢/٦ .

(٨٣) الفتوح، ١٩٣/٨ .

(٨٤) المصدر نفسه، ١٩٣/٨ .

(٨٥) تاريخه ، ٣٥٦/٢ .

اشتهر بغزارة علمه ، وكان من المجتهدين المنقطعين للعبادة ، قال : رحم الله عبد الـواحـد ، ما كان والله ممن يُقْتـل لغـائلة ، ولاممن يشار إليه بفاحشة ، وما قَتَلْتُه إلا أمواله ، لولا أن السفاح عمي ، وذمامه ورعاية حقه علي واجب ، لأَقَدْتُ منه ، ولكن الله طالِبـهَ ، وقـد كنت أعرف عبدالواحد بَرّاً تقِيًا ، صوّاما قوّاما[٨٦] ، يقول صاحب كتاب الإمامة والسياسة : ثم كتب إلى عمه ، ألا يقتل أحداً من بني أمية ، حتى يعلم به أمير المؤمنين ، فكان هذا أول مانقم أبو العباس على عمه السفاح[٨٧] .

يروي البلاذري ، في أنساب الأشراف قائلا : «حدثني بكير ، عن الهيثم عن عياش ، قال : كان أبو العباس أسخى الناس ، ماوَعَد عِدَةً قط فأخرها عن وقتها ، أوقام من مجلسه حتى يقضيها ، ولقد سمعناه يقول : إن المقدرة تُصَغِّرُ الأمنية ، لقد كنا نستكثر أموراً ، أصبحنا نستقلها لأخسِّ من صَحِبنا ، ثم يسجد لله شكرا»[٨٨] .

وفي نص آخـر لابن الأثير يقول فيه : «نظر السفاح يوما في المرآة ، وكان أجمل الناس وجها ، فقال : اللهم إنّي لا أقول ، كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الملك الشاب ، ولكنِّي أقول : اللهم عَمِّرْنِي طويلاً في طاعتك مُمَتَّعاً بالعافية»[٨٩] .

ورغم ذلك فإن أبا العباس . هو الذي وجَّه عمه عبد الله بن علي إلي بلاد الشام لإخمـاد المقـاومة ، وتتبع مروان بن محمد، ولاشك أنه كان يعلم مُسْبَقاً قسوةَ عمِّه وبطشه لذا اختاره لمثل هذه المهمة الصعبة التي كانت تحتاج في تلك الفترة بالذات ـ إلى شخصية مثل شخصيته ، يقبض على زمام الأمور بيد قوية ، ثم إن أبا العباس ، وهو الخليفة ، يُفْتَرض فيه أن يكون على علم بما كان يقوم به عمه ، وهو الخليفة أيضا يفترض فيه القدرة على وقف تلك المذابح ، ولكنه ربما تغاضى عنها على الأقل مع من كان يخشى منهم ، من بني أمية ، لأن الموقف كان يملي عليه ذلك ، وربما أن عبدالله ابن علي ، قد استغل ذلك التغاضي ، فأسرف في القتل ، وفي تتبع الأمويين ، وعند

---

(٨٦) ٢/١٢٢-١٢٣ .

(٨٧) ٢/١٢٣ .

(٨٨) ٣/١٦٦ .

(٨٩) الكامل في التاريخ ، ٥/٤٦٠ .

تنبه أبو العباس ، لإسراف عمه ، كان له ذلك الوقف ، الذي تحدث عنه صاحب كتاب الإمامة والسياسة إن صحت روايته .

كانت صورة عبد الله بن علي قاتمة في كثير من المصادر التاريخية فهو لايذكر ، إلا ويذكر معه العنف ، والقسوة ، وخاصة في هذه الفترة من تاريخه ، حتى أنه أتّهم بتعطيل الشعائر في أحد جوامع دمشق ، عندما اتخذه اصطبلا لخيلة مدة سبعين يوما[٩٠] ، وهو الذي يُقَاتل من أجل دولة شعارُها الحكم ، والعمل بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وأيضا ما قيل عن انتهاكه حُرْمَةَ الموتى ، حيث أمر بنَبْش قبور بني أمية ، وجَمْعَ عظامهم ، وحَرْقِها ، ولم يكتف بذلك ، بل دَقَّ رمادها وذراه مع الرياح ، لماذا؟ وما الفائدة التى سيعود بها للدولة العباسية من وراء نَبْش وحَرْق تلك العظام البالية ؟

أما لماذا ؟ فسؤال أجابت عنه بعض المصادر التاريخية[٩١] ، وهو التشفي والانتقام ، وبث الرعب في نفوس المعارضين ، أما ما الفائدة من ذلك ؟ فسؤال لاتزال إجابته قائمة ، وربما أطاحت عدم الإجابة عليه ، بما يُقنع الباحث المدقق ، بكل الفَرضِيَات ، التي يسعى لها بعضُ المؤرخين ، من خلال بث مثل هذه الدعاية المثيرة للألم ، والاشمئزاز في نفس الوقت ، ونسوق فيما يلي صورا من تلك الانتهاكات ، التي قام بهاعبدالله بن علي ، حسب ماذكرته المصادر التاريخية : يذكر البلاذري[٩٢] ، أن عبدالله بن علي ، أمر بنبْش قبر معاوية فما وجد إلا خَطّاً ، ونبْش قبر ابنه يزيد ، فوجد سُلاميات[٩٣] ، رِجْله ، أما قبر عبدالله بن مروان فلم يجد فيه غير بعض شئون[٩٤] رأسه ، نبش قبري الوليد ، وسليمان ابني عبد الملك ، فلم يجد فيهما غير رُفات ، وعندما نبش قبر هشام بن عبد الملك ، وجده سليماً إلا شيئا من أنْفه ، وشيئا

(٩٠) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٥/٣٨٩-٣٩٠ .

(٩١) راجع ، اليعقوبي : تاريخه ، ٢/٣٥٦ ، وابن عساكر : المصدر السابق ، ١٥/٣٩٠ .

(٩٢) أنساب الاشراف ، ٣/١٠٤ .

(٩٣) سُلاميات رِجْله : أي أصابع قدمه ، راجع (ابن منظور : لسان العرب، ١٥/١٩٠) .

(٩٤) شئون رأسه : أي عظامه، (المصدر نفسه، ١٧/٩٦) .

من صِدْغِه ، لأنه طلي بالزئبق ، و الكافور ، وماء الفُوَّة[٩٥] ، أما قبر مسلمة بن عبد الملك فوجد فيه جمجمته ، فاتخذه عبد الله بن علي ، وأصحابه غرضا حتى تناثرت ، ولم يتعرض لقبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ويذكر أنه جمع مافي القبور ، وأحرقه .

وممن أشار إلى نبش قبور بني أمية من المؤرخين أيضا ، ابن أعثم الكوفي ، فقد ذكر نبش قبر معاوية ، وابنه يزيد ، يقول ابن أعثم : «لعنه الله»[٩٦] ، ومعاوية ابن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، فوجد جمجمته ، وأضلاعه والوليد بن عبد الملك ، وجد فقرات ظهره ، ومسْلَمة بن عبد الملك وجد صُلْبه ، وبعض جمجمته ، وسليمان بن عبد الملك ، وجد في قبره عظما واحدا ، والوليد ابن يزيد بن عبدالملك ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك ، والوليد بن مسلمة ، وسائر بني أمية لم توجد في قبورهم ، غير العظام وبقي قبر عمر بن عبد العزيز سليما ، لم ينْبشه عبدُالله بن علي ، وقد جُمعت عظام بني أمية ، وأحرقت[٩٧] .

المقدسي في كتابه البدء والتاريخ : يذكر أن عبد الله بن علي نبش قبور بني أمية ، وأحرقهم ، وأحرق عظامهم بالنار ، يقول : «ولم يجد في قبر معاوية عليه اللعنه إلا خَطّاً أسودَ ، كأنه رماد ، ولافي قبر يزيد لعنه الله إلا فِقَار ظهره فأحرقه»[٩٨] .

ابن الأثير أيضا إشار إلى قضية نبش قبور بني أمية ، على يد عبد الله بن علي ، وأصحابه ، فذكر أيضا أن قبر معاوية لم يوجد فيه غير خيط مثل الهَبَاء ، ووجد في قبر ابنه يزيد حُطاما كأنه رماد ، ووجد في قبر عبد الملك جمجمته ، إلا أن جثة هشام ابن عبد الملك ، وُجدت صحيحة ما عدا أرنبة أنفه ، ويذكر ابن الأثير أن جثة هشام ضُربت ، وصُلبت وحُرقت ، وذري رمادها في الريح[٩٩] .

(٩٥) ماء الفُوَة، عَشْب مَعَمّر ينبب في شواطىء البحر المتوسط ، سيقانه حُمْر متسلقة ، وبذوره حُمْر، تُعْرَف بفُوَه الصُّبَّاغين ، ويُستخرج منها مادة تستعمل في صنع الحرير والصوف ، راجع (المعجم الوسيط٢/٧) . .

(٩٦) كتاب الفتوح، ١٩٤/٨ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ١٩٣/٨ - ١٩٤ .

(٩٨) ٧٢/٦ .

(٩٩) الكامل في التاريخ ، ٤٣٠/٥ .

الأزدي في كتابه تاريخ الموصل ، ذكر أن عبدالله بن علي أمر عمرو بن تمام بنبش قبور بني أمية ، فنبش عمرو ، قبر هشام فوجده صحيحا ، فضربه ، ثم أحرقه ، ونبش قبر سليمان فوجد صُلْبه ، وأضلاعه ورأسه ونبش قبر مَسْلمة بقِنَّسْرين ، فوجدت جمجته ، وأحرقت ، ونبش قبر الوليد بدمشق فوجد شِقّ رأسه ، ووجد في قبر معاوية عظما واحدا ، وفي قبر ابنه يزيد حطاماً ، وخطّاً كأنه رماد ، وتتبع قبور بني أمية ونَبَشها[١٠٠] .

ابن الطقطقي أيضا تعرض لموضوع نبش قبور بني أمية ، فذكر نبش قبر معاوية ابن أبي سفيان ، حيث لم يوجد فيه إلا خطا مثل الهباء ، وقبر ابنه يزيد الذي وجد فيه حطاما مثل الرماد[١٠١] .

أمَّا اليعقوبي فذكر مثل غيره أمر نبش القبور ، إلا أنه توقف عند نبش قبر هشام ابن عبد الملك ، وقال : «ولما صار[١٠٢] إلى رصافة ، أخرج هشام بن عبد الملك ، ووجده في مغارة على سريره ، وقد طُلي بماء يُبْقيه ، فأخرجه ، فضرب ، وجهه بالعمود ، وأقامه بين العقابين[١٠٣] ، فضربه مائة وعشرين سوطا ، وهو يتناثر ، ثم جمعه فحرقه بالنار[١٠٤] ، أما لماذا خُصَّ هشام بن عبد الملك بهذا النوع من التعذيب دون سائر بني أمية ؟ فسؤال أجاب عليه اليعقوبي ، وذكر أن عبدالله بن علي قال ، بعد أن صَبَّ جَامَ غضبِهِ على جثة هشام ابن عبدالملك : «أن أبي[١٠٥] ، كان يصلي يوما ، وعليه إزار ، ورداء ، فسقط عنه ، فرأيت في ظهره آثار السياط ، فلما فرغ من صلاته ، قلت «يا أَبَةِ جعلني الله فداءك ، ما هذا ؟ فقال : إن الأحول[١٠٦] ،

(١٠٠) ١٣٨ .

(١٠١) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ١٥٢ .

(١٠٢) أي عبد الله بن علي .

(١٠٣) العقابين : جاء في لسان العرب (١١٢/٢) : العقابان ، خَشَبتان يَشْبَح الرجلُ بينهما الجَلد .

(١٠٤) تاريخه ، ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ .

(١٠٥) أي علي بن عبدالله .

(١٠٦) أي هشام بن عبد الملك ، وقد جاء في وصفه ، أنه كان أحولا ، راجع (صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ، ١٨٤) .

أخذني ظلما ، فضربني ستين سوطا ، فعاهدت الله أن ظفرت به ، أن أضربه بكل سوط سوطين»[١٠٧] .

وعندما نستشهد برأي مؤرخ آخر ممن تحدث عن موضوع نبش العباسيين لقبور بني أمية ، وهو الحافظ بن عساكر ، نجده يذكر نبش قبور معاوية ويزيد ، وعبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، الذي وجدت جثته سليمة ماعدا أرنبة أنفه ، فضُربت بالسياط ، وصُلبت أياما ، وأحرقت بالنار ، وَدُقَّ رمادُها ، ونُخِل ، وذُرِيَ في الريح ، ويسوق ابن عساكر الخبر التالي ، نقلا عن محمد بن سليمان بن عبد الله النّوفلي ، معلّلاَ ما خُصَّ به هشام من التعذيب ، ويقول : كتب هشام ابن عبدالملك ، إلى عامله على المدينة[١٠٨] ، أن يشخص إليه محمد بن علي بن عباس ، فأشخصه إليه ، وعاش في كنفه ، واشترى جارية أنجبت له ابنا ، ولكنّه تَبَرأ منه ، واتهمها بحمله سِفاحا ، واحتكمت إلى هشام بن عبدالملك ، الذي أمر قاضِيهَ أن يحكم بينهما ، فحكم القاضى بأنّ الابن ليس لمحمد ، وفرّق بينهما ، وعندما بلغ الولدُ سبع سنوات ، دس إليه محمد بن علي مَنْ قَتَله ، فاستعْدَت أُمُّه بهشام بن عبد الملك ، ولكن محمد أنكر علاقته بقتله ، حتى شهد عليه أحد المزارعين ، من سكان المزَّة ، فدلهم على المكان ، الذي قُتل فيه الصبي ، فقال هشامُ لمحمد بن علي : «لولا أنّ الأبَ لايُقاد بالابن لأَقَدْتُك» ، ثم ضربه سبعمائة سوط ، ونفاه إلى الحميمة ، يقول ابن عساكر ، نقلا عن محمد بن سليمان بن عبدالله النوفلي : «فكان الذي حمل عبد الله بن علي أن يعمل بجثة هشام ما عمل بأخيه محمد بن علي ، ثم دفع عبد الله ابن علي إمرأة هشام إلى قوم من الخراسانية ، حتى مروا بها إلى البوية ، ماشيةً ، حافيةً ، حاسرةً ، فما زالوا يَزْنُون بها ، ثم قتلوها ، وهي عبدة ابنة عبدالله بن يزيد ابن معاوية ، صاحب الخال»[١٠٩] .

(١٠٧) تاريخه ، ٣٥٧/٢ .

(١٠٨) لم يذكر ابن عساكر اسم ذلك العامل ، وبالرجوع لابن خياط في تاريخه (٣٥٧) نجد أن عمّال هشام على المدينة هم : محمد بن هشام بن إسماعيل حتى سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م) ثم خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم حتى سنة (١١٩م/ ٧٣٧م) ثم صلى بالناس أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم حتى قدم محمد بن إبراهيم بن هشام سنة (١١٩هـ) فلم يزل والياً عليها ، حتى مات هشام .

(١٠٩) تاريخ دمشق ، ٣٩٠/١٥ .

وهكذا تحدثت بعض المصادر التاريخية عن قضية نبش العباسيين لقبور بني أمية، وعندما ندقق النظر، نجد أن كثيرا من الروايات حول هذا الموضوع، ذات انتماءات، ومصادر عَلَوية، مثل اليعقوبي، وهو أحدُ موالي بني هاشم(١١٠)، ومن المعتنقين المتعصبين للمذهب الشيعي، الاثنا عشري(١١١)، حتى أنه فقد حياته بسبب تعصبه لمذهبه(١١٢)، ومِثْله في التشيع أيضا ابن أعثم الكوفي، الذي قال عنه ياقوت الحموي، في معجم الأدباء: «كان شيعيا، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف»(١١٣)، وكذلك أحمد بن سهل البَلْخي، وُصِفَ بأنه صاحب ميول علوية(١١٤)، ولا أدل على ذلك من لعنه لمعاوية رضى الله عنه، وابنه يزيد، عندما تحدث عن نبش قبريهما(١١٥)، أما ابن الطقطقي، وهو ممن ردد رواية نبش العباسيين لقبور بني أمية، فقد جاء في ترجمته: محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، أبوجعفر، مؤرخ من أهل الموصل، ينحدر من فرع الحسن، وإبراهيم طباطبا، كان أبوه نقيبا للطالبيين، في الكوفة، وبغداد، وخَلَفه ابنه محمد في نقابة الطالبيين في الحِلّة، والنَّجف، وكَرْبلاء سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م)، تزوج بإمرأةٍ فارسيةٍ، من خراسان(١١٦).

واذا كان هؤلاء المؤرخون يسوقهم، فيما ذكروه ميلُهم، وتعصبُهم المذهبي، فماذا يمكن أن يُقال عن مؤرخين، لم تُعْرف عنهم ميول علوية، أو انتماءات مذهبية، يمكن أن تؤثر على نظرتهم، إلى الاحداث وتفسيرها، بل ربما كان بعضهم ممن عاش في كنف العباسيين، وغمَره فَضْلُهم، وعلى رأس هؤلاء البلاذري، الذي وصل إلى

(١١٠) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ٥/١٥٣-١٥٤.

(١١١) الدَوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ٥٣، وياسين إبراهيم الجعفري: اليعقوبي، المؤرخ والجغرافي، ٢٩.

(١١٢) المرجع نفسه، ٢٩.

(١١٣) ٢/٢٣٠-٢٣١.

(١١٤) المصدر نفسه، ٣/٨٤-٨٥.

(١١٥) راجع صفحة ٢٩ من البحث.

(١١٦) الزركلي: الأعلام، ٧/١٧٤، وكحاله: معجم المؤلفين، ١١/٥١، وهيوار: ابن الطقطقي (بحث نشره في دائرة المعارف الاسلامية) ١/٢١٧-٢١٨.

مكانة مرموقة في البلاط العباسي ، حيث عَيَّنه الخليفُه المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٦١م) ، مستشاراً له ، كما بلغ حَضْوة كبيرةً لدى الخليفة المستعين بالله (٢٤٨- ٢٥١هـ/ ٨٦٢- ٨٦٥م) ، حتى أصبح أحد خُلصَائِه[١١٧] ، وفوق هذا فإن جُلّ مادة البلاذري العلمية عن بني أمية ، وخاصة في كتابه أنساب الأشراف ، استقاها من شيخ الإخباريين ، أبي الحسن على المدائني (١٣٢- ٢٢٤هـ)[١١٨] ورغم ما يُقال عن شيوخ المدائني ، الذين عُني البلاذري بذكرهم أنهم كانوا من الضعفاء[١١٩] ، إلا أنه كان موضع ثناء كُتّاب السِّيَر ، والأنساب ، فقد قال عنه السَّمْعاني : «كان عالما بأيام الناس ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، عالما بالفتوح ، والمغازي ، ورواية الشعر ، صدوقا في ذلك[١٢٠]» . كما قال عنه الذهبي : «مصدقا فيما ينقله ، عالي الإسناد»[١٢١] .

نقل البلاذري في كتابه أنساب الأشراف (١٤١٦) رواية عن المدائني في تاريخ الأمويين[١٢٢] فقط ، ولكن تبقى مع ذلك بعض الروايات التي لم يسندها للمدائني ، أو لغيره ممن اعتمد عليهم ، وأحداث نبش قبور بني أمية هي من هذه الروايات[١٢٣] ، فهل هي معلومة خاصة به ، لم ير غضاضة في ذكرها من غير إسناد ؟ أم أنها رواية ليست من الأهمية ما يدعوه إلى ذكر إسنادها ؟ ثم هل البلاذري تأثَّر كغيره بما ردده الشيعة ، أو المتعاطفين معهم ؟ أم أن البلاذري أشفق على بني أمية من هول ما أصابهم على يد العباسيين ، فَدَوّن ، مثل هذه الرواية في كتابه ؟، أم أن نبش قبور بني أمية حقيقة وصل البلاذري إلى درجة من الجُرْأة ، والموضوعية جعلته لايتردد في ذكرها ، رغم ما حباه به بنو العباس ، من مكانة وتقدير؟ أسئلة يعوزنا الدليل للإجابة عليها .

(١١٧) محمد جسام حمادي المشهداني : موارد البلاذري ، عن الاسرة الأموية، ١/٥٧-٦٠ .

(١١٨) بدري محمد فهد : شيخ الاخباريين أبو الحسن المدائني، ١٣٤ .

(١١٩) المشهداني : المرجع السابق ، ١/١٦٧ .

(١٢٠) الأنساب ، ١٢/١٤٧ .

(١٢١) سير أعلام النبلاء ، ١٠/٤١٠ .

(١٢٢) المشهداني المرجع السابق ، ١/٥٦، ١٩٦ .

(١٢٣) المرجع نفسه، ٢/٧٥٥ .

ومما يزيدنا حَيْرة ، هو أنّ البلاذري لم يكن الوحيد من المؤرخين ، الذين يمكن القول عنهم بأن لديهم قِسْطا من الحيادية التاريخية ، بل شاركه في ذلك مؤرخون آخرون ، أمثال ؛ أبوزكريا يزيد بن محمد الأزدي ، صاحب تاريخ الموصل ، الذي أثني عليه الذهبي في تذكرة الحفاظ ، وعدة أحد الحفاظ القضاة الأئمة ، وقال : «استفدت كثيرا من تاريخه»[١٢٤] ، وكذلك الحافظ بن عساكر أورد رواية مطولة أسندها إلى محمد بن سليمان بن عبدالله النوفلي وهو حسب رواية ابن عساكر ممن عايَش نهاية سقوط الأمويين ، بل وشارك في أحداثها مع عبدالله بن علي[١٢٥] ، ذكر في تلك الرواية قصة نبش قبور بني أمية ، بل وَتَفرّد عن غيره بذكر اتّخاذ جامع دمشق اصطبلا لخيل عبد الله بن علي مدة سبعين يوما[١٢٦] ، كما حاول إيجاد تفسيرٍ لِنقْمة عبدالله بن علي من جثة هشام بن عبدالملك[١٢٧] ، وعندما نوثّق ابن عساكر ، نجده أيضا موضع تقدير المهتمين بالرِّجال ، وثنائهم ، يقول عنه ابن خلكان : «كان محدِّث الشام ، ومن أعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث ، واشتهر به»[١٢٨]» ، كما أثنى على كتابه ، تاريخ دمشق[١٢٩] ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة مطولة ، في كتابه سير أعلام النبلاء ، ومما قاله عنه : «كان فَهِماً ، حافِظا ، متقنا ، ذكيا ، بصيرا بهذا الشأن ، لا يُلْحق شَأْوُه ، ولايُشقّ غُبارُ ، ولا كان له نظير في زمانه»[١٣٠] ، وأورد عدة روايات ، تدل على فضله ، وعلمه ، وسلامة عقيدته ، وحسن أخلاقه[١٣١] . كما يقول عنه ابن كثير : «صنّف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة ، فهي باقية بعده مُخَلَّدة ، وقد نَدَر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين ، فحاز فيه قَصَبَ السَّبْق ، ومن نظر فيه ، وتأمله ، رأى ما وصفه فيه وأصَّلَه ، وحكم بأنه فريد دهره ، في التواريخ ، وأنه الذِّرْوة العليا من الشماريخ»[١٣٢] .

(١٢٤) ٣/٨٩٤ .

(١٢٥) تاريخ دمشق، ١٥/٣٨٩ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، ١٥/٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

(١٢٧) المصدر نفسه : ١٥/٣٩٠ .

(١٢٨) وفيات الأعيان : ٣/٣٤٨ .

(١٢٩) المصدر نفسه ، ٣/٣١٠ .

(١٣٠) ٢٠/٥٥٦ .

(١٣١) المصدر نفسه، ٢٠/٥٥٤ ـ ٥٧١ .

(١٣٢) البداية والنهاية ، ١٢/٢٩٤ .

قد يقال إن ابن عساكر شامِيٌّ لايخلو من نَزْعه عطف مع بني أمية ، الذين اتخذوا من بلاد الشام مَقَراً لحكمهم ، وقد يُقال أيضا ، أن رواية نبش قبور بني أمية ، وما قام به عبدُالله بن علي من أعمال في بلاد الشام ، أسندها إلى محمد بن سليمان ابن عبد الله بن علي ، وهو فيما يبدو علوي النزعة ، وقد اهتم بعضُ العلويين برواياته ، ونقل عنه مثل : يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وسليمان بن جعفر ابن سليمان بن علي ، والعباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب[١٣٣] . مما يجعل الباحث يتردد في قبول روايته :

وممن أشار الى تلك القضية أيضا ابن الأثير ، صاحب السفر المعروف الكامل في التاريخ ، وهو ممن حظي بمكانه طيبة لدى الباحثين قديما وحديثا ، إلى درجة يمكن القول ، بأن بعض من جاء بعده من مؤرخين كانوا عالة عليه ، كما كان هو عالة على الطبري ، فيما أرّخه في تاريخ الرسل والملوك ، أثنى عليه ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١- ١٢٨٢م) ، وهو ممن التقى به ، وتردد على داره في حلب يطلب عِلْمَه سنه ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، قال عنه : « . . . إمَاماً في الحديث ، ومعرفته'، وما يتعلق به ، حافِظاً للتواريخ المتقدمة ، والمتأخرة ، خبيرا بأنساب العرب ، وأخبارهم ، وأيامهم ، ووقائعهم[١٣٤] ، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وقال عنه : «كان إماما ، إخباريا ، أديبا ، متَفَنِّناً ، رئيسا ، محتشما ، كان مَنْزِله مأوى لطلبة العلم»[١٣٥] ، وقد وصف ابنُ كثير كتابَه الكامل في التاريخ بأنه من أحسن كتب التاريخ حوادث[١٣٦] .

ومما يزيد الأمر غموضا ، في قضية نبش قبور بني أمية ، وإحراق رُفَاتهم بالنّار وذرّه مع الريح ، هو إغفال ، أوسكوت بعض المؤرخين عن ذكرها ، خاصة ممن نال شهرة واسعة لدى الباحثين السابقين ، أو المُحْدَثين وَعَّولوا عليهم في كثير من موضوعاتهم التاريخية ، وعلى رأس هؤلاء خليفُة بن خياط ، في تاريخه المعروف ، ومحمد بن جرير

---

(١٣٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ١٥/ ٣٨٩ .

(١٣٤) وفيات الأعيان ٣/٣٤٨ .

(١٣٥) ٢٢/ ٣٥٤ .

(١٣٦) البداية والنهاية ، ١٣/ ١٣٩ .

الطبري في سفره المعروف بتاريخ الرسل والملوك ، ويتسائل المرء عن سبب ذلك ؟ هل القصة كانت غير صحيحة ، وأنها من نسج خيال أعداء العباسيين ؟أما أن معلوماتهما كانت من القصور ، بحيث لم تكن لديهما إحاطة بمثل هذه القضية ؟ وهو أمر بعيد الوقوع نظراً لما توفر لهما من دقة في تتبع الأحداث ، واستقصائها ، خاصة الطبري ، أم أنهما مالأ العباسيين ، وَخَشِيا من بطشهما ، وقد عاش كلٌ منهما ، وَدَوَّن تاريخه في عصر العباسيين ، كل هذا يُلقي ظِلالاً من عدم الوضوح كي يصل الباحث إلى تفسير مقبــول لهذه الاحـداث ، ولكن رغم ذلـك نستـطيع أن نتـوقف في زوبعـة هذه الأحـداث ، عنـد موضـوع هشام بن عبدالملك ، فقد ذَكر أكثرُ من مصدر ، أنه الـوحيد ، من بني أمية الذي وجدت جثته سليمة ، ما عدا أرنبة أنفه ، وجزء من صدغة ، لأن جسمه قد طلي بماء يُبْقيه سليما(١٣٧) . وهي قضية ، لم تتوفر لها العناصرُ الكافية ، لقبولها ؛ لماذا ، وقد عُرفت تلك المادة التي ذكرها البلاذري ، . وهي مركبة من الزئبق والكافور ، وماء الفُوَّه ، لماذا لم يطل بها بقية خلفاء بني أمية ؟ وهي التي أبقت جثة هشام سليمة طيلة ثمان سنوات ، منذ وفاته سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)٠ ، حتى أُسْتِخرجت سنة ١٣٢هـ ، ثم إن ثمانِ سنوات كفيلة بأن تجعل الجسمَ يتحلَّلَ ، ويختلطَ بالتراب ، إلا ماشاء الله من العظام ، ومما يزيد المرة اقتناعا بضعف عناصر القوة لهذه القصة هو ماذكره اليعقوبي أن جثة هشام وُجِدت على سرير في مغارة(١٣٨) ، ولماذا يخفي المسلمون خليفتهم في مغارة ، وأيضا على سرير ، وعدا عما في ذلك من مخالفة تعاليم الدين الحنيف أيضا فيه امتهان لخليفة المسلمين ، ولماذا هذا الامتهان ؟ خاصة وأن مصادر أخرى ذكرت أنه توفي بالذبحة(١٣٩) ، يوم الاربعاء لثلاث ، أو لست خلون من ربيع الأول ، أو ربيع الآخـر ، من سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) على اختلاف بين الروايات ، صلى عليه خليفته ، الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك ، أو ابنه

---

(١٣٧) راجع صفحة ٣٠٣ من البحث.

(١٣٨) تاريخه ، ٢/٣٥٦ - ٣٥٧ .

(١٣٩) يذكر الذهبي أن علته التي أودت به، وهي ورم في الحلق ، يقال له ا(الحرزون) سير أعلام النبلاء ، ٣٥٣/٥ .

مَسْلَمة بن هشام ، ودُفن بالرّصافة[140] ، أى أنه صُلّي عليه ، ودُفن حَسَب السنة ، وشهد ذلك جمعٌ من المسلمين .

هذا جانب ، أما الجانب الآخر ، فهو ما يتعلق بالسبب الذي جعل عبدالله بن علي ينتقم منه على تلك الصورة المفزعة ، فقد اختلفت المصادر اختلافا أقل ما يقال عنه أنه يثير شكوكا في صحة رواياتها ، فاليعقوبي يذكر أن ذلك كان بسبب ما فعله هشام مع والد عبدالله ، (علي بن عبدالله) عندما ضربه ستين سوطا ظلما ، حتى تركت السياطُ أثراً واضحا في جسمه ، دون أى إيضاحات أخرى عن سبب ضربه ظلما[141] ، أما ابن عساكر ، فقد أورد رواية أسندها الى محمد بن سليمان النوفلي ، تدور احداثها حول تلك الجارية التي اشتراها محمد بن على ، فوطئها ، فانجبت ولدا ، فأنكره ، واتهمها بالسفاح إلى آخر القصة ، التي سبق بسطها[142] . وهي رواية يسودها الاضطراب والتشويه ، فمن هي تلك الجارية التي استأثرت باهتمام هشام على تلك الصورة ، وقد حكم قاضية لمحمد بن علي ، ولماذا لم يقم الحد على الجارية ؟ ولماذا يقول لمحمد بن علي : «لولا أن الأب لا يُقاد بالابن لأقدتك» ، ثم لماذا يقتل محمد بن على الغلامَ بعد أن بلغ سبع سنين ؟

عندما نتتبع هذه المسألة عند البلاذري في كتابه أنساب الاشراف[143] ، وعند صاحب كتاب (الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده) لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى[144] ، وهما من أدق وأوسع من كتب عن ملابسات هذه الفترة ، وعن علاقة بني أمية بالعباسيين (عبدالله بن عباس ، وعلي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد ابن علي بن عبدالله بن عباس) نجد أن النَّفْرة بين هشام بن عبد الملك ، ومحمد ابن علي ليست بسبب ما أنجبته تلك الجارية سفاحا ، بعد أن تزوجها ، وما أحاط بها

١٤٠) خليفة بن خياط : تاريخه ، ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٧/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ٩/ ٣٥٤ .

(١٤١) راجع صفحة ٣٠٥ من البحث.

(١٤٢) راجع صفحة ٣٠٥ من البحث.

(١٤٣) ٣/ ٨٤ـ ٨٥ .

(١٤٤) ١٦٥ ومابعدها .

من ملابسات ، وإنما كانت بسبب استرابة هشام في نشاط محمد بن علي السياسي ، وما وصلته من أخبار عن تزايد ذلك النشاط ، وتزايد أتباعه ، وحصوله على أموال كثيرة منهم ، ويبدو أن ذلك النشاط كان من الوضوح إلى درجة أن محمد بن علي لم ينكره وكان هشام ، كلما همَّ بحبسه مع بنيه أمسك ؛ خوفاً من قطيعة الرَّحم ، وإثارة الفتنة ، فعمل على مداراته ، ومصانعته حِفاظا علي وحدة المسلمين ، والمرة التي حاول فيها هشام بن عبد الملك أن يُنَفِّذ العقوبة في محمد بن علي ، كانت بسبب حصوله على مائة ألف درهم اقتطعها بعض الولاة الذين كانوا يتعاطفون مع العلويين ، ويشايعونهم ، من محصول الخراج . وهي حق لبيت مال المسلمين ، فغضب هشام حرصا على حقوق الرعية ، وأمر محمد باعادة المال ، الذى حصل عليه دون وجه حق ، وحتى يرغمه على ذلك أقامة في الشمس ، وعذَّبه ولكن اتباعه ممن كانوا في عسكر هشام ، مثل عيسى بن إبراهم السَّراج وهو من الكوفة ، ومن رؤساء الشيعة ، كان ذا غنى ، ويسار وكان يعمل في تجارة السروج ، ويعاونه أبومسلم الخراساني ، الذي اجتمع مع نفر من أغنياء الشيعة ، ووجهائهم ذهبوا إلى سالم ، كاتب هشام فضمنوا ما على محمد بن علي ، وجعلوا يؤدون عنه الأول فالأول ، حتى أُدِّيت المائةُ ألف ، فُكُلِّم هشام ، وأمر باطلاق سراحه ، وعاد إلى الحميمة ،

كما أننا نجد أن من رددوا تلك الروايات ، كاليعقوبي ، وابن عساكر ، قد خلطوا بين هشام بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، كما أنهم خلطوا بين محمد ابن علي ، ووالده علي بن عبدالله ، وخلاصة تلك القصة كما ذكرها البلاذري ، وقد أسندها إلى عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن جده ، أن عليا بن عبدالله ابن عباس (٤٠ـ ١١٧هـ/ ٦٦٠ ـ ٧٣٥م)[١٤٥] ، نال حظوه عند عبد الملك بن مروان ، فقربه وأكرمه ، حتى طلق عبدُ الملك زوجتَه» أم أبيها[١٤٦] بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[١٤٧] ، فتزوجها علي ، فتغير عليه ، يقول البلاذرى : فبسط[١٤٨] لسانه

(١٤٥) وقيل أن وفاته ، كانت سنة ١١٨هـ، راجع أخبار الدولة العباسية، ١٥٩ .

(١٤٦) اسمها لبابة ، المصدر نفسه ، ٣٨ .

(١٤٧) ذكر صاحب ، أخبار الدولة العباسية قصة طلاقها من عبد الملك ، وقال : «عض (أى عبدالملك) تفاحةً، ثم رمى بها إليها، وكان أبحر ، فدعت بسكين ، فقال : ماتصنيعن بها ؟؛ قالت : أميط عنها الأذى، فطلقها» راجع ص ١٣٨ـ ١٣٩ .

(١٤٨) أى عبد الملك بن مروان . (١٤٠٩) .

بذمّه ، وقال : إنما صلاته رياء ، وكان الوليد يسمع ذلك من أبيه ، فلما ولي أقصاه ، وأعابه ، وتجنى عليه ، حتى ضربه وسيره[149] .

أما صاحب أخبار الدولة العباسية ، فقد ذكر أنه بعد موت عبد الله بن عباس ، سنة (٦٨هـ/١٨٧م) أوصى ابنه عليا بأن يلحق بعبد الملك بالشام ، فلحق به عليٌّ فأكرمه ، وأجلسه معه على سريره ، يقول : «ولم يزل علي بن عبد الله على حاله عند عبد الملك ، حتى هلك عبدُ الملك ، وولي ابنه الوليد بعده ، فلم يكن لعلي في إكرامه علي مثل ماكان عليه أبوه»[150] .

كانت العلاقة بين الوليد بن عبد الملك ، وعلي بن عبدالله ، تسودها الريبة والشك ، إذ يذكر صاحب أخبار الدولة العباسية ، أن الوليد ضرب علياً بالسوط مرتين ، الأولى عندما تزوج بلبانة بنت عبدالله بن جعفر ، عندما طلقها عبدالملك ابن مروان ، وقال له : إنما تتزوج بأمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم ، أما الثانية فكانت بسبب ماكان يبثه من دعاية بأن الخلافة ستكون في عقبه ، وقد زاد هذه المرة على ضربه بالسوط أن حمله على بعير ووجهه إلى ذَنَبه ، وأمر من يصيح به هذا علىابن عبدالله الكذاب[151] .

استغلت تلك النُّفْرة بين الرجلين ، وحدث من الملابسات مازادها رسوخا وعمقا ، ومن ذلك ما ذكر أنه كان لعبد الله بن عباس جارية صفراء ، مولَّدة تخدمه ، فواقعها مرة ، ولم تحمل منه فاستنكحت عبداً من عبيد أهل المدينة ، فحبلت ، وجاءت بولد ، فأقام عليها عبدالله الحد ، واستعبد ولدها ، وسماه سليطا ونشأ سليط ظريفا جلدا ، وبعد وفاة عبد الله بن عباس ، قام بخدمة ابنه علي ، وعندما شخص علي إلى الشام تقرب سليط إلى بني أمية ، فنال خظوة ومكانة لديهم ، فأشار عليه الوليد بن عبد الملك أن يخاصم علياً بن عبد الله ، فخاصمه عند قاضي دمشق ، واحتال ، وأشهد شهودا ، بأن عبد الله بن عباس قد اعترف ببنوته ، فألحقه القاضي بعبد الله ابن عباس .

---

(١٤٩) أنساب الأشراف، ٧٦/٣ .

(١٥٠) ١٥٥ .

(١٥١) ١٣٨-١٣٩ .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، . بل تجاوز سليطٌ إلى مطالبة علي بميراثه من أبيه ، فآذاه كثيرا في ذلك ، حتى تضايق علي ، وعرض عليه أحدُ أصحابه ، أن يقوم بقتله كي يريحه من شره ، فغضب عليه وزجره ، وكاد أن يقاطعه ، فاتّبع مع سليط أسلوب الرفق واللين ، حتى كَفَّ أذاه عنه ، ويبدو أن سليطا كان يتردد بين فينة وأخرى على خدمته ، وبينما كان علي في بستان له يسمى «الجنينة» ، على بعد فرسخ من دمشق ، دخل عليه سليط ، ومعه صديق له اسمه (عمر الدَّن) فخدماه ، حتى أكل ، ثم قام علي يصلي ، فانحاز عمر ، وسليط في ناحية من البستان ، يأكلان من الفاكهة ، فجرى بينهما كلام ، وملاحات فوثب الدن على سليط ، ودمغه بصخرة أودت بحياته ، فحفر له ، ودفنه ، وأعانه على دفنه مولى لعلي اسمه (فايد أبو المهنا) ، وقيل (عروة أبوراشد) ، وكان علي بن عبد الله لايعلم من ذلك شيئا ، لأنه كان منقطعا لصلاته[١٥٢] . وكان لسليط صاحب عرف دخوله بستان على بن عبدالله ، وعند فقد سليط ، اشتكت أمه إلى الوليد بن عبد الملك ، وذكرت له أن ابنها فُقِد في بستان علي ابن عبدالله ، فطالبه الوليد بذلك ، فأنكر ، وأمر بأن يُسَرَّح الماءُ في البستان ، فجرى الماء ، وعندما وصل إلى المكان الذي دُفن فيه سليط انخسف ، فأخرجت الجثةُ ، وأمر الوليدُ بتعذيب علي بن عبد الله فجُعل على رأسه الزيت ، وعُرِّض للشمس ، وضُرب ستون سوطا ، وأُلبس جُبَّة صوف ، وحُبس ، ومازال يُعَذَّب ، حتى كُلِّم الوليدُ بشأنه من قبل عباد بن زياد ، فأمر به ، ونفي إلى جزيرة دَهْلك[١٥٣] ، ثم أعيد قبل أن يصل إليها ، بعد أن كلمه سليمان بن عبد الملك، ونزل الحِجر[١٥٤] وما زال به إلى أن توفي الوليد سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م) فأعاده سليمان بن عبد الملك (٩٦-

(١٥٢) عرف عن علي بن عبد الله تعبده، وكثرة صلاته، حتى لقب بـ«ذي الثَّفِنَات» بسبب أثر السجود في جبهته، وأنفه، ويديه، راجع (البلاذري : أنساب الأشراف) ٣/٧١ .

(١٥٣) دَهْلَك : جزيرة في البحر الاحمر (القُلْزم) ، تقابل سواحل اليمن، وهي حصن لمن ملك يماني تهامة . راجع : (الهمداني : صفة جزيرة العرب، ٦٨) . أما البكري في كتابه (معجم ما استعجم، ٢/٥٥٥)، فقد أطلق عليها اسم (دَهْلَك) وقال : «من قدم الهاء على اللام فقد أخطأ» .

(١٥٤) هو بلد ثمود ، يقع بين الحجاز والشام وهي قرية من وادي القرى . (البكري : المصدر السابق، ٤٢٦/١) و(القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، ٩٠) .

٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م) إلى دمشق ، ثم انتقل إلى الشَّرَاة[١٥٥] بعد ذلك[١٥٦]، وقد أشار صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية إلى هذه القصة مع بعض الاختلافات ، وإن كان أقل تفصيلا من البلاذرى ، إذْ لم يُشِر إلى حكم قاضي الوليد ، بإلحاق سليط بعبد الله بن العباس ، كما لم يشر إلى تفاصيل قَتْل سليط ، وإنما اكتفى بقوله : «زعم الناسُ أن سليطاً قُتِل» ، كما أنه ذكر أن بني هشام اجتنبتْ عليا بن عبدالله ، خوفا من الوليد ، وذكر أنه أُقيم في الشمس ، حتى جاءه عبدالله بن عبدالله بن الحارث ، فألقى عليه مطرفهُ وحمله إلى داره ، وعالجه ، وبقى عنده ، حتى شُفى ، ثم أخرجه الوليد إلى الحميمة ، وقال له «لا تجاورني بدمشق فاضطغن عليُّ بن عبدالله ما فعل به ، حتى كان أمره ما كان»[١٥٧] .

عاش علي بن عبـدالله ، حتى خلافـه هشام بن عبد الملك ، حيث توفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨هـ ، على اختلاف بين الروايات ، أي بعد اثنتي عشرة سنةً ، من تولي هشام بن عبد الملك الخلافة ، وقد عرفنا من رواية البلاذرى ، المعاملة الودية التي عامله بها خليفة الوليد بن عبدالملك ، سليمان بن عبدالملك .

وكـذلـك عومـل في عهـد هشـام بن عبد الملك ، روى صاحب أخبار الدولة العباسية ، عن عبدالله بن هارون بن موسى ، قال : حدثني أبي عن جدى عن أبيه محمد بن عبدالله قال : حضرت عند هشام بن عبد الملك، وفتح البابين ، ووضع الغـذاء ، فدخل عليه آذِنُه ، فقال : يا أمير المؤمنين بالباب رجل على بِرْذَون له ، لايدخل إلا أن تأذن له . قال : ويلك ! ومن هو؟ إيْذَن له ، فإذا علي بن عبدالله ابن عباس ، فساعة دخل قام إليه ، ثم قال : يا معشر قريش ، قوموا إلى سيدكم ، هذا يرتفع ، من حيث يُتضع الناس ، ثم سأله حوائجه فقضى له أربع حوائج ، لها قيمة عظيمة[١٥٨] .

(١٥٥) الشَّرَاة: صِقْعٌ بالشـام، بين دمشق والمدينـة، من قُرَام الحُمَيْمَـة التي كان يسكنها أبناء علي بن عبدالله ابن عباس، أيام بين مروان (ياقوت: معجم البلدان، ٣/٣٣٢.

(١٥٦) البلاذري : أنساب الاشراف، ٣/٧٦-٧٨ .

(١٥٧) ص ، ١٤٩- ١٥٠ .

(١٥٨) ص ١٤١ .

يمكننا القول بعد هذا العرض أن ماذكره ابنُ عساكر حول هذه القضية ، الهامة قد خالطه الوهم ، وهو وإن كان له بعض الأساس ، إلا أن شخصيات الحادثة ، وتاريخها ، وتفاصيلها مختلفة ؛ تلك الجارية كانت لعبد الله بن عباس وتَحَمّل وِزْرَ مشكلاتها ابنه علي بن عبد الله بن عباس ، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذي تربطه به علاقة غير ودية . كما أن هشام بن عبدالملك ، ومحمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، بعيدين عن هذه القضية ، ويراود الباحثَ شَكٌ في أن قصة العثور على جثة هشام سليمة ، وتمثيل عبد الله بن علي بها على تلك الصورة ، وماهي إلا خلطٌ ووهم ، أو دعاية شارك في صنعها بعض العلويين أو ممن لديهم ميول علوية ، خاصة ، وأن لهشام بن عبدالملك موقف مع أحد زعمائهم ، وهو زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . عندما أعلن الثورة ضده في الكوفة سنة (١٢١هـ/ ٨٣٨م) مغترا بوعود شيعته الذين أعادوا إلى الذاكرة مأساة الحسين ابن علي رضى الله عنه في كربلاء سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م) وانسحبوا عنه ، عندما حمى وطيس المعركة ، بل ربما قبل بَدْئِها ، فهُزم ، وقُتل في صفر سنة ١٢١هـ[١٥٩] ، وبالرغم منْ أن ما قام به هشام هو مايمليه عليه مركزه كخليفة تجاه هذه الثورة ، محافظة على وحدة الأمة ، وصونا لدماء المسلمين ، إلا أنَّه تألم لقتل زيد بن علي ، وقْتل ابنه يحيى ، وكان يقول : وددت لو كنت افتديتهما[١٦٠] ذكر الذهبي رواية أسندها إلى ابن سعد، عن الواقدى حدثه بها سحبل بن محمد، قال: «مارأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء ولاأشد عليه من هشام، ولقد رأيته دخله من مقتل زيد ابن علي وابنه يحي أمرٌ شديد، حتى قال «وددت لوكنت افتديتهما»[١٦١] كما أسند الذهبي - رواية أخرى للواقدي ، قال فيها : «فلما ظهر بنو العباس نَبَش هشاماً عبدُالله بن علي وصلبه[١٦٢]» ، ويقال عن محمد بن عمر الواقدي ، أنه متهم بميوله العلوية[١٦٣] ، بل

---

(١٥٩) وقيل سنة ١٢٢هـ، ويقال أن مايصل إلى خمسة عشر ألف وثمانمائة من أهل الكوفة فقط أظهورا تأييدهم لزيد بن علي، وعندما نشب القتال لم يبق معه سوء مائتا رجل فقط، راجع الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، ٧/١٦٠- ١٧٣، ١٨٠-١٩١) ، وأخبار الدولة العباسية، ٢٣٠-٢٣٢) .

(١٦٠) ابن كثير: البداية والنهاية . ٣٥٢/٩ .

(١٦١) سير أعلام النبلاء:

(١٦٢) المصدر نفسه ، ٣٥٢/٥ .

(١٦٣) الدورى : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ٣١ .

ضُعِّف ، ونُسِب إليه الـوضْع في الحديث ، وقيل عنه كذَّاب ، وقيل ليس بثقة ، متروك الحديث[١٦٤] .

نشير بعد ذلك إلى قضية ذكرها ابن عساكر في روايته التي أسندها إلى محمد بن سليمان النوفلي ، وهي دَفع عبدُ الله بن علي زوجةَ هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبدالله ، الملقب بالأسرار[١٦٥] ، بن يزيد بن معاوية ، صاحبة الخال ،[١٦٦] ، إلى جنده الخرسانية ، الذين أذاقوها مختلف أنواع التنكيل ، والتعذيب . ، فمشت حافيةً حاسِرةً ، بل أخذوا يزنون بها ، ثم قتلوها ، وهي رواية لايوجد مايؤيدها في المصادر الأخرى ، ولعلها تندرج في سياق الدس والتشويه للعباسيين ، والامتهان لنبي أمية ، مما أشرنا إليه سابقا فمهما وصُفِ به عبدُ الله بن علي ، من بطش ومن قسـوة ، فإن الأمـر لايصـل حدَّ تعـذيب النسـاء ، وامتهـان كرامتهن ، وانتهـاك أعراضهن ، لما في ذلك من مخالفة لتعاليم الشرع الحنيف ، ومجافاة لِلْخُلق العربي الذي يحرص على صون الأعراض حتى مع غير المسلمين .

ويبقى من الموضوع سؤال ، هو ، إذا كان صحيحاً ماقيل عن نبش عبد الله ابن على لقبور بني أمية ، فهل يعني هذا أنَّ ظاهرة نبش القبور للتشفي والانتقام لم تعرف في العصر الأموى ، سؤال تحتاج إجابته إلى تتبع دقيق ، ولكن من خلال ، ماتوفر من مصادر أشير إلى ثلاث حوادث لعلها تُسْهِم في الإجابة ، الأولى ، ذكرها البلاذرى في كتـابه أنساب الاشراف قال : «وقالوا اقبلت أمٌّ ولدٍ ليزيد بن عبدالله بن زمعة ، وكانت بخاريةً ، في غُلْمَة لها[١٦٧] ، فلّما انتهت إلى قبر مسلم[١٦٨] قالت بالفارسية ، يا مسرف خربت البيوت ، وأحرقت القلوب ، ثم نبشته ، وصلبته على نخلة ، ويُقال على جذع ، ثم أحرقته ، ويقال إنَّ إمرأة من قريش قَتَل ابنين لها ، نبشته وأحرقته ،

(١٦٤) ابن سيد الناس : عيون الاثر، ١/ ٢٠ .

(١٦٥) ثلاثة من أبناء يزيد اسمهم عبدالله، عبد الله الأكبر، وعبدالله الأصغر ويقال له الأسرار، وعبدالله، الذي يقال له اصغر الأصاغر، راجع (أنساب الأشراف، ١/ ٣٥٥-٣٥٦) .

(١٦٦) راجع، ابن سعد : الطبقات الكبري، ٧/ ٤٧٤، وصلاح الدين المنجد : معجم بني أمية .

(١٦٧) أي في هَيَجان، واضطراب. راجع (لسان العرب ١٥/ ٣٣٥) .

(١٦٨) هو مسلم بن عقبة المرى ، صاحب وقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م) .

والأول اثبت[١٦٩]» . أما الثانية ، فقد ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ، في ترجمته لمروان بن محمـد ، وقد استقر في سدة الخلافة ، وأمَّن الناس «أمر بنبش قبر يزيد الناقص[١٧٠] ، وَصَلْبه»[١٧١] ، والثالثة حسب رواية محمد بن حبيب ، أنّ يوسف ابن عمر الثقفي نبش في خلافة هشام بن عبد الملك ، قبر نصر بن جذيمة العبْسي ، صاحب ميمنة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وصلبه أيضا[١٧٢] .

أحداث نهر أبي فُطْرس :

مكث عبدُ الله بن علي في دمشق ، بعد أنْ استولى عليها خمسة عشر يوماً ، توجّه بعـدهـا إلى فلسطين ، متعقباً أثر مروان بن محمد ، وفي فلسطين تحدثت المصادرُ التاريخية عن مجازر أخرى ارتكبها عبدالله بن علي ، وقد اختلفت في ملابساتها ، وتفصيلاتهـا ؛ فمحمـد بين حبيب ذكر ، أنّ عبدالله بن علي في خلافة مروان بن محمد ، قتل على نهر أبي فُطْرس بفلسطين ، وفي مجلس واحدٍ ثمانينَ رجلا من بني أمية[١٧٣] .

كما ذكر صاحب كتاب ، الإمامة والسياسة أنّ عبد الله[١٧٤] بن علي ، عندما قَدِم فلسطين ، بعث إلى بني أمية ، وأظهر للناس ، أن أمير المؤمنين وصاهُ بهم ، وأمره برَدِّ أموالِهم ، وبذل العطاءِ لهم ، وتسجيل أسمائهم في الدِّيوان ، فَقَدِم عليه ثلاثةٌ وثمانون رجلاً من صناديد بني أمية ، منهم عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأبان ابن معـاوية بن هشام ، وعبدالرحمن بن معاوية ، إلاّ أنه عَدَل عن رأيه في القدوم إلى

(١٦٩) القسم الرابع، الجزء الأول ، ٣٢١- ٣٢٢، وممن أشار إلى نبش قبر مسلم أيضا محمد بن حبيب في كتابه (المُحَبّر، ٤٨٢) .

(١٧٠) هو : يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) وسُمّي بالناقص لإنقاصه أُعطيات الجند .

(١٧١) ٧٥/٦ .

(١٧٢) المصدر السابق، ٤٨٣ .

(١٧٣) المصدر نفسه، ٤٨٥ . وقد جاء في كلمة الختام للكتاب، والتي أعدها محمد حميد الله أنّ محمد بن حبيب يميل إلى الشيعية، انظر ص ٥٠٩ .

(١٧٤) يُلَقّب في كتاب الإمامة والسياسة ، بالسُّفاح، لكثرة ما سفك من دماء .

عبـدالله بن علي ، بعد أنْ نصحه رجلٌ سبق ، وأن صنع معه برّاً ، وأسدى إليه معـروفاً ، فهرب إلى الأندلس ، وهو الذي عُرف فيما بعد بعبد الرحمن الداخل ، أما الآخرون ، فقد قدموا على عبدالله بن علي الذى أعد لهم مجلسا فيه أضعافهم من الـرجـال ، ومعهم السيوف ، وأعمـدة الحديد فخرجوا عليهم ، فقتلوهم ، واستصفيت أموالهم[175]

أما اليعقوبي ، فيذكر أنّ عبد الله بن علي ، عندما وصل إلى نهر أبي فُطْرُس ، جمع بني أمية ، وطلب منهم أنْ يأتوه في الغد ، لأخذ عطائهم ، وجوائزهم ، فدخلوا عليه من الغد ، وكانوا ثمانين رجلاً ، منهم النعمان بن يزيد بن عبدالملك ، فأقام على رأس كل واحد منهم رجلين بالعُمدُ ، وأطرق قليلاً ، وكان في مجلسه الشاعر العبْدي فقام ، وأنشد قصيدة قال فيها :

أمـا الدّعـاةُ الـى الجِنَـانِ فهاشـمٍ ... وبنـــو أُميَّــة مِن كــلابِ النَّــارِ

فنهره النعمان بن يزيد ، وقال : كذبت يا بن اللخناء ، فقال له عبدُ الله بن علي : بل صدقت ياأبـا محمـد ، فامض لقـولـك ، وأقبل على بني أمية ، وذكّرهم بقتلِ الحسين ، وأهلِ بيته وصَفّقَ بيده ، فضرب جميع من كان في مجلسه من بني أمية ، ونادى رجلٌ منهم من أقصى المجلس منشدا :

عَبْـدُ شمـسٍ أبْـوكَ وهـو أبـونَـا ... لاتُنَـادِيـك مـن مكـانٍ بعيـدِ
فالقَـرَابَـاتُ بينـنـا واشجـاتٌ ... مُحكمـاتُ القُـوى بعقـدٍ شـديـدِ

فَرَدّ عليه عبدُ الله بن علي ، قائلا : هيهات ، قَطَع ذلك قتل الحسين ، يقول اليعقوبي : «ثم أمر بهم فَسُحبوا ، فَطُرحت عليهم البُسط ، وَجَلس عليهم ، ودعا الطعام ، فأكل ، فقال : يومٌ كَيَوْمْ الحسين بن علي ، ولا سواء[176] .

البلاذري في أنساب الأشراف ، تعرض لمذبحة نهر أبي فُطْرُس وذكر في رواية لم يسندها لأحد ، أن عبدالله بن علي ، عندما وصل نهى أبي فطرس : «أمر فنُودي في بني أمية بالأمان ، فاجتمعوا إليه ، فعجّلت الخراسانيةُ بالعُمد فقتلوهم[177]» .

---

(175) ٢/١٢١-١٢٢ .

(176) تاريخه ، ٢/٣٥٥ .

(177) ٣/١٠٤ .

وفي إشـارة عابـرة ذكـر الطبرى هذا الخبر ، وقال : , «وفي هذه السنة[178] قتل عبدالله بن علي من قتل بنهر أبي فُطْرُس ، من بني أمية ، وكانو اثنين وسبعين رجلا[179] .

أما الأزدي ، صاحب كتاب (تاريخ الموصل) فقد أشار إلى عدد الذي اجتمع من بين أمية عند عبدالله بن علي ، وذكر أنهم ثمانون رجلا ، منهم (الغَمْر بن يزيد ابن عبد الملك) ، وفي رواية أسندها إلى الهَيْثَم ، أنّ منهم محمد بن عبد الملك ، ويزيد ابن هشام ، والغَمْر بن يزيد بن عبد الملك ، وعبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وثمانين رجلاً آخرين . من بني أمية ، منهم رجلان ، من بني كَلْب مُنِعا من الدخول فأبيا فقتلهما عبدُ الله بن علي ، مع من قَتَل من بني أمية ، وَحَسَبَ هذه الرواية ، فإن عدد الذين ذهبوا ضحية هذه المذبحة ، من بني أمية ، أربعةٌ وثمانون رجلا ، كما ذكر رواية أخـرى أسندهـا الشخص غير الهيثم ، لم يُسَمِّـهِ ، تقـول : «فلما أخـذوا مجالِسَهم ، والجند خلف ظهورهم ، قال عبد الله : أَحَسِبَت أُمَيّةُ أنْ سترضى هاشم عنهـا ، ويذهب زيدُهـا ، وحسينُها ، كلا ، ورب محمد ، وآله ، لينال كفورها ، وخئـونها ، ثم أخـذ قلنسوتـه ، فضرب بها الأرض ووضـع الجنـد الأعمـدة ، والْكَافَركُوبات[180] ، يشدخونهم ، وأتوا على آخرهم ، وأمر بالغَمْر فَضُربت عنُقُه ، وكانت بينه وبين عبد الله مَوّدة[181] .

حدّدَ المسعودي تاريخ هذه المذبحة ، وذكر إنها وقعت على نهر أبي فُطْرُس ، يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان عدد القتلى من بني أمية بضعاً وثمانين رجلا[182] .

أشار ابن عساكر إلى الحادثة في رواية أسندها إلى علي بن محمد بن سليمان النوفلي ،

---

(١٧٨) أي سنة ١٣٢ هـ .

(١٧٩) تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٣/٧ .

(١٨٠) قِطَع من الخشب مدهونة باللون الأسود ، كان يتسلح بها الخراسانيون ، راجع (الدينورى : الاخبار الطوال ، ٣٦١) .

(١٨١) ص ١٣٩ .

(١٨٢) مروج الذهب ، ٢٤٦/٣ ، والتنبيه والاشراف ، ٢٨٥ .

عن أبيه ، وذكر فيها ، أن عبدالله بن علي تتبع بني أمية ، من أولاد الخلفاء ، ولم يفلت منهم إلا صبي صغير يرضع ، أو من هرب إلى الأندلس ، فجمعهم ، وكانوا اثنين وتسعين نَفْسا ، فقتلهم على نهر بالرَّمْلة ، ثم جمع الأنطاع ووضعها على الجثث وأكل عليها الطعام ، وهم يتحركون ، من تحت الأنطاع ، واستصفى جميع دورهم ، وضياعهم[١٨٣] ، وقد اعتمد ابن كثير على رواية ابن عساكر هذه ، عندما تحدث عن مذبحة نهر أبي فطرس ، ويبدو أنّ تصحيفاً وقع أو خطأ طِبَاعي ، فوضُعت كلمةُ الْفاً ، بدلا مِن نَفْسا[١٨٤] .

لم يغفل ابن الأثير عنه حادثة نهر أبي فُطْرُس ، حيث قال : «وتتبع[١٨٥] بني أمية من أولاد الخلفاء ، وغيرهم ، فأخذهم ، ولم يفلت منهم إلا رضيع ، أو من هرب إلى الاندلس فقتلهم بنهر أبي فُطْرُس ، وكان فيمن قتل ، محمد بن عبد الملك ابن مروان ، والغَمْر بن يزيد بن عبد الملك ، وعبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وسعيد بن عبد الملك ، وقيل : إنه مات قبل ذلك ، وأبوعبيدة الوليد بن عبدالملك ، وقيل : إن إبراهيم بن يزيد المخلوع ، قُتل معهم ، واستصفى كل شيء لهم ، من مال ، وغير ذلك ، فلما فرغ منهم قال :

بنـي أميّـة قـد أفنيـتُ جَمْعَكُـمُ ... فكيـف لـي منكـمُ ، بالأوّلِ الماضـي
يُطَيـبُ الـنَّفْسَ أن النّـارَ تَجْـمَعكـم ... عُوِّضْتـمُ مِـنْ لَظَاهـا شَـرَّ معُتْـاض
مُنـيتـمُ لا أقـال الـله عَثرتَكُـم ... بلَيْـثِ غـابٍ إلـى الأعـداءِ نَهُـاض
إن كـان غَيْظـي لفَـوْتٍ منكـمُ فَلَقَـدْ ... مُنيـتُ منكـم بما رَبّـي بـه راض[١٨٦]

يقول ابن الاثير : « وقيل : إن سُدَيْفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ، ومعه كانت الحادثة ، وهو الذي قتلهم[١٨٧] .

---

(١٨٣) تاريخ دمشق ، ١٥/٣٩٠ .

(١٨٤) البداية والنهاية، ١٠/٤٥ .

(١٨٥) أبي عبدالله بن علي .

(١٨٦) الكامل في التاريخ ، ٥/٤٣٠-٤٣١ .

(١٨٧) المصدر نفسه : ٥/٤٣١ .

الذهبي ، من المصادر التي وقفنا عليها أيضا ، ذكر في كتابه (تاريخ الإسلام) ، أن عبد الله بن علي قتل على نهر أبي فُطْرُس اثنين وسبعين نفسا صبرا[١٨٨] .

وهكذا فإنه لاخلاف بين مصادر البحث على أن عبد الله بن علي قام بمذبحة أخرى في بني أمية على نهر أبي فُطْرُس سنة ١٣٢هـ ، وقد حدد المسعودي ذلك بيوم الاربعاء النصف من ذي القعدة ، من تلك السنة ، ويبدو أن أجتماع ذلك العدد ، على اختلاف بين المصادر ، من الأمويين ، عند عبد الله بن علي ، لم يكن مصادفة لولا أنّ عبد الله بن علي قد أظهر لهم ، ما يُطْمِعهم بالأمان ، خاصة بعد سلسلة من مظاهر القمع التي قام بها العباسيون ضد بني أمية ، ذهب ضحيتها عدد غير قليل منهم ، كانت كفيلة بإثارة روح اليقظة ، والحذر لديهم ، كما يبدو أيضا أن عبدالله بن علي بذل جهوداً كبيرة في سبيل إقناعهم بالقدوم عليه ، وَعَدَهم ، ومنَّاهم ، وطَمْأنهم ، مُضْمِراً في نفس الوقت الغدر ، بهم .

ولا خلاف أيضا بين مصادر البحث أنّ مسرح هذه المذبحة هو نهر أبي فُطْرُس ، قرب الرَّمْلَة بفلسطين ، ماعدا ابن الأثير، الذي شَكَّكَ في أنْ يكون مسرحها ، البلاط العباسي ، وبطلها أباالعباس السفاح ، إلا أن ابن الأثير لم يجزم بذلك ، أو لم يكن لديه الدليل الكافي ، وإنما أشار إليها بكلمة (قيل) ، ولكِنَّ الخلافَ واضحٌ بين المصادر ، في عدد القتلى ، من بني أمية ، فأقل عدد ذُكر هو اثنان وسبعون ، وأكثر عدد هو أثنان وتسعون، وذكر بين هذين العددين أعداد أخرى هى ثمانون رجلاً واثنان وثمانون. وثلاثة وثمانون ، والفرق بين هذه الأعداد ليس كبيرا ، إذْ أنّ عدد القتلى ، يتراوح ، من اثنين وسبعين رجلا إلى اثنين وتسعين ، على اختلاف بين المصادر ، ومما يُلْحظ أنّ المصادر التاريخية ، لم تُقَدِّم ثَبْتاً دقيقاً بأسماء القتلى من بني أمية ، وإنما ذكرت بعض الأسماء فقط ، وهي قليلة قياساً بعدد الأرقام الواردة ، وفي محاولة لحصر هذه الأسماء نجد أنها لاتتجاوز تسعة أسماء ، وهي إبان بن معاوية بن هشام[١٨٩] ، وإبراهيم بن يزيد المخلوع ، وأبو عبيدة بن عبد الملك ، وسعيد بن عبد

---

(١٨٨) حوادث (١٢١- ١٤٠) ، ص ٣٤٠ .

(١٨٩) الإمامة والسياسة ، ١٢١/٢ .

الملك[190] ، كما ذكر ابن خياط في تاريخه ، أن من القتلى ، عبد الله بن عبد الملك[191] ، ومن القتلى أيضا عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك[192] ، والغَمْر بن يزيد بن عبد الملك[193] ومحمد بن عبد الملك[194] ، والنعمان بن يزيد بن عبد الملك[195] ، ويزيد بن هشام بن عبد الملك[196] فهل، هذا العدد القليل ، من الأسماء التي ذُكرت قياسا بالأرقام التي وردت علامة شك في دقة الأرقام ، والمبالغة ، فيها أم أن هؤلاء هم المشهورون من بنى أمية ، والبقية قَصُرَت بهم ، قِلّةُ شُهْرَتِهم ، مسألة غير واضحة ، تحتاج إلى أدلة تبث الاطمئنان لدى الباحث ، للأخذ بإحدى الفرضيتين .

وهناك مسألتان مرتبطتان بهذه الحادثة جديرتان بالنظر ، الأولى هي جمع القتلى وربما كان بعضهم في الرمق الأخير وَوَضْع الأنطاع عليهم ، وطلب الطعام ، والأكل فوق جثثهم ، وربما ارتفعت الأنطاع ، وانخفضت ، بسبب حركة من كان فيه بقيةٌ مِنْ حياة ، وهي صورة من صور القسوة المؤلمة للنفس ، ولكن هذه الصورة ، ربما خف وقعها إذا وقفنا على المسألة الثانية لا رتباطها بالأولى وهي محاولة تبرير هذا الموقف بالثأر لقتلى العلويين ، وخاصة الحسين بن علي ، وزيد بن علي ، وصوغها في قالب شعري مؤثر ، فلم تكن قسوة عبدالله بن على لتأسيس ملك ، والمحافظة عليه ، ولكنه الانتقام لما قام به بنو أمية ضد العلويين ، من تنكيل ، وهو رأى ينقصه الدليل ، خاصة إذا عرفنا أن المشكلة التي نَقَم منها العلويون من بني أمية . لم تُحَلّ بقيام الدولة العباسية ، بل استمرت وتمخضت عنها إفرازاتٌ صعبة وخطيرة ، ألاَ وهي مشكلة الخلافة ، وأحقية البيت العلوي بها ، وهي محاولة واضحة لقسر الأحداث ، وتوظيفها دعاية للبيت العلوي وَحَطّاً من قدر العباسيين ، ويبدو أَنّ

(١٩٠) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٥/٥٣١ .

(١٩١) ص ٤١٠ .

(١٩٢) الإمامة والسياسة ، ٢/١٢١ ، والازدي : تاريخ الموصل، ١٣٩ ،وابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/٥٣١ .

(١٩٣) ابن خياط : المصدر السابق، ٤١٠ ، ومحمد بن حبيب : المُحَبّر، ٤٨٥ ، والأزدي، المصدر السابق، ١٣٩ وابن الأثير : المصدر السابق، ٥/٥٣١ .

(١٩٤) الازدي : المصدر السابق ، ١٣٩ ، وابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/٥٣١ .

(١٩٥) اليعقوبي : تاريخه، ٢/٣٥٥ .

(١٩٦) الازدي : المصدر السابق ، ٣٩ .

الروايات التي تحدّثت عن المسألة الأولى ، هي نفسها ـ في الغالب ـ التي أشارت إلى المسألة الثانية ـ والمصلحة في كلا الحالتين مهما اختلفت اشكالُها واحدة ، حيث تَصُبّ في النهاية لصالح العلويين ، سواء صورة التشويه ، أو تأويل الحَدَثِ وَتَفْسِيره ، وهما مسألتان تدعوان إلى الشّكّ في صحتهما ، وفي مقدمة تلك الروايات ، رواية اليعقوبي ، وقد عرفنا من قبل[197] ، من هو اليعقوبي ، ومدى تعصبه للعلويين ، وكذلك الرواية التي ذكرها الأزدي ، والتي تناولت موضوع الانتقام لبني هاشم زيدها وحسينها ، ولعل مما يثير الشك في هذه الرواية ذكره لها بدون إسناد ، مقارنة بما قبلها ، حيث أسندها للهَيْثم ، أما الرواية التي ذكرها ابن عساكر ، فقد أسندها إلى علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه ، وقد وَقَفْنا على ميول النوفلي العلوية قبل ذلك[198] .

ومما يُلْحظ في حادثة نهر أبي فُطْرُس ، أن الجند الخراسانية ، هم الذين تولوا كِبْرَها ، ونفذوا خطّتها ، بتوجيه من عبدالله بن علي ، وهم هنا مثلهم في حادثة دمشق ، وما قبل دمشق ، ومثلهم أيضا فيما يأتي من حوادث ،وخاصة في مرحلة التأسيس من تاريخ الدولة العباسية في عهدي أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، فهم العنصر الفاعِلْ ، المُؤثّر ، الذي اعتمد عليه العباسيون في هذه المرحلة ، وإذا قلت الخراسانية فهم الخراسانية مَوْطِنا لا عُنْصرا ،فُرْساً ، وعرباً ، مِمَّن استوطن بلاد خراسان ، وتحمس لقيام الدولة العباسية ، وقاتل من أجلها .

وتبقى قضية أشار إليها البلاذري ، في أنساب الاشراف إشارة عابرة ، قد لايُلْتفت إليها ، ولكنّها ذات مدلول هام في هذه الحادثة بالذات ، إذْ تفيد هذه الرواية ، أنه في الوقت الذي أخذ فيه عبد الله بن علي يسعى لجمع الأمويين ، عند نهر أبي فُطْرُس ، بدأت ثورةُ أبي الورد مَجْزأة بن الكوثر الكلابي ، وأبي محمد السفياني في قِنَّسْرين ، وعندما علم عبدُ الله بن علي بذلك ، بادر بقتل جميع من كان عنده من بني أمية[199] .

(١٩٧) راجع صفحة ٣٠٦ من البحث.

(١٩٨) راجع صفحة ٣١٠ من البحث.

(١٩٩) ٣/١٧٠ .

وأهمية هذه الـرواية ، تأتي في أنّ قَتْل الأمويين ، لم يكن نتيجة ثورة عاطفية ، استثارتها أبيات من الشعر ذَكَّرت ببني هاشم ، وقَتْلاهم ، كالحسين بن علي وزيد بن علي بن الحسـين ، كما تُرَدِّدُ ذلك الرواياتُ ، ذات الميول العلوية ، بل كان موقفا اقتضته الظروف والأحداثُ المحيطة ، ولعل ظهور ثورة قِنَّسْرين ، من الأسباب التي عَجَّلَت بقتل الأمويين ، على نهر أبي فُطْرُس ، وقد كان عبدُ الله بن علي ، يَعِي ماقام به جيدا خاصة ، وأنّ مذبحة نهر أبي فُطْرُس ، من الأسباب غير المباشرة التي ساهمت في إضعـاف مقاومة الامويين في قِنَّسْرين ، وخاصة أيضا وأنّ رجل الموقف في كلا الحالين واحد ، وهو عبدالله بن علي .

أحداث الحجاز :

سلسلةٌ مترابطةٌ من الأحداث ، هي مواقف التصفية التي نفَّذَها العباسيون ضد بني أمية يأخذ بعضها برقاب بعض ، وإن اختلفت في زمانها ، ومسرح عملياتها ، في دمشق ، ثم في فلسـطين ، والحجاز بعد ذلك ، وفي الحجاز كان رجل الأحداث شخص آخر ، غير عبدالله بن علي ، ولكنه أيضا من أفراد البيت العباسي ، وهي في هذه المرة داود بن علي ، عَمّ أبي العباس السفاح أيضا ، تشير المصادر التاريخية أن داود بن علي قَتَل مجموعة من بني أميه في الحجاز سنة ١٣٣هـ ، دون تحديد دقيق لعدد القتلى(٢٠٠) ، ولكنها تختلف في تصوير الحادثة ، وتفسيرها ، بَين مُوجْز ، وَمُفَصِّل ، ومخَفِّف لهول الحـادثة ، ومُضخِّم لها ، ويلمس الباحث دور الميول والتوجهات في وصف الحـادثـة ، وتفسـيرها ؛ فمن المصادر ماذكر الحادثة عَرَضاً ، ولم يُعِرْها من الاهتمام ما يُوَازي الأحداث الأخرى التي عالجها ، وربما كان بعضها أقل أهمية ، مثل الطبري ، الذي أشار إليها في أحداث سنة ١٣٣هـ ، في سطر ونصف السطر ، بأن داود بن علي قتل من كان أخذ من بني أمية في مكة والمدينة(٢٠١) ، ولم يزد على ذلك

---

(٢٠٠) الإمامة والسياسة، ٢/١٣١ ، والبلاذري : أنساب الأشراف، ٣/٨٨، واليعقوبي: تاريخه، ٢/٣٥١-٣٥٢، والطبري : تاريخ الرسل والملوك، ٧/٤٥٩، وابن أعثم : الفتوح، ٨/١٩٣، والمسعودي : التنبيه والاشراف ، ٢٨٥، والذهبي : تاريخ الإسلام، حوادث (١٢١-١٤٠) ص ٣٤٤ .

(٢٠١)المصدر السابق، ٧/٤٥٩.

شيئا ، وصاحب كتاب الإمامة والسياسة رغم ماأضافه على ماذكره الطبري ، إلا أنه لم يقدم القدر الكافي من المعلومات ، التي تتناسب وحجم الحادثة ، فذكر أن داود ابن علي قتل من ظفر به من بني أمية ، وغيرهم ، عندما قَدِم الحجاز ، واليا عليها بل تجاوز الحجاز إلى اليمامة ، حيث قضى على أحد أنصار الامويين ، مع مجموعة من أتباعه ، وهو المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة ، وأشار إلى شخصية من أنصار العباسيين ساهمت في تتبع الأمويين وقتلهم في الطائف ، وهو (محمد بن عمارة)[٢٠٢] ، ذكر خليفة بن خياط ، أسماء بعض من قتلهم دواود بن علي ، في الحجاز ، من بني أمية ، وهم عمران بن موسى بن عمرو بن سعيد ، ويحيى وإسماعيل ابني أمية بن عمرو بن سعيد ، وعبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، وابنيه محمد وعياض ، وأيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد ، وأشار إلى ذلك في أحداث سنة ١٣٢هـ[٢٠٣]هـ .

أما الأزدي ، الذى ذكر وفاة داود بن علي في غرة شهر ربيع الاول من سنة ١٣٣هـ فقد عَدَّد أسماء من قتلهم داود من بني أمية في الحجاز ، وهم عمران بن موسى ابن عمرو بن سعيد، وأخوه أيوب بن موسى بن عمرو ابن سعيد[٢٠٤]، وعبد الله ابن عبدالله بن سعد بن أبي وقاس ، وابنيه محمد ، وعياض ، يقول الأزدي : «وجمع من بقي بالمدينة من بني أمية ليقتلهم، فقال له عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي: يا أخي إذا قتلت هؤلاء بمن تباهي ؟ أما يكفيك أن يَرَوْكَ غاديا ورائحا فيما يسرك ، ويسؤوهم فلم يقبل منه ، وقتلهم»[٢٠٥] واضح أن الأزدي ، نقل هذه الرواية ، من مصدر متعاطف مع العلويين ، ويتضح هذا من إقحامه اسم عبدالله

(٢٠٢) ١٣١/٢ .

(٢٠٣) تاريخه ، ٤١٠ .

(٢٠٤) جدّهما عمرو بن سعيد بن العاص ، الْمُلَقّب بالأشدق، لميل في شِدْقه وقيل لما اشتهر به من لَسَن، وهو ما رجّحه الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) ١٢٢/١ ، كما يُقال له أيضا لطيم الجنّ، ولطيم الشيطان، أمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ، أخت مروان وعمه عبدالله بن مروان، ولي المدينة ليزيد بن معاوية . راجع (أنساب الأشراف ق٤ ج١/ ٤٤١) كان أبوه أيوب بن موسى فقيها مُفْتياً، وكذلك أخوه عمر، وهو ممن وصفهم ابن حِبّان بالثقات ، راجع (سير أعلام النبلاء، ١٣٥/٦) ، (وتهذيب التهذيب، ١٤١/٨) .

(٢٠٥) راجع تاريخ الموصل ، ص ١٤١ .

ابن الحسن ، وكذلك لعنه عبيد الله بن زياد ، وهو والي يزيد بن معاوية على البصرة سنة ٦٠هـ (٦٧٩م) ، وفي أيامه قتل الحسين بن علي سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م ، وذلك عندما استشهد بقصيدة قالها حفص بن أبي النعمان، يقول الأزدي : «مولى لعبيد الله ابن زياد لعنه الله»[٢٠٦] ، وجاء في القصيدة :

وكانـــت أُمَيّـــةُ فـي مُلْكِهـــا تجـــورُ وتظْهـــرُ طغيانَهـــا
فلمـــا رأى اللهُ أنْ قَـــدْ طَغَـــت فلـــم يُنْظـــر اللهُ عُدْوَانهـــا
رماهـــا بسَّفـــاح آل الرســـول فَجَـــذّ بكفيـــه أذْقانهـــا

البلاذري في أنساب الاشراف ، ترجم لداود بن علي ، وذكر أنه تولى مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وعندما بلغه ، وهو في الحجاز قتل ابن هبيرة ، وقتل مروان ، التقط قوما من بني أمية فقتلهم ببطن مَرّ[٢٠٧] ، ووجه أبا حماد ، إبراهيم بن حسان الأبرص ، إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، وهو في اليمامة ، وقتله ، ويقال ، بل بعث به إليه من العراق[٢٠٨]

وكذلك ذكر الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ، خبر قتل داود بن علي لعدد من بني أمية صَبْرا في الحجاز ، دون ذكر عددهم ، أو أي تفصيلات أخرى[٢٠٩] .

وكعادته فابن أعثم الكوفي ، في كتابه الفتوح ، أظهر الأمرَ بصورة مبالغ فيها، متهما أباالعباس السفاح بتحريض عمه عَلَى قَتْل بني أمية في الحجاز ، ويذكر أن داود بن علي قتلهم ، وأخذ يبحث عنهم تحت كل حجر ، ومدر ، وقد سمع رجلاً يلبي قائلا : لبيك اللهم لُبيك يامهلك بني أمية، فدعاه ، وأعطاه ألف دينار[٢١٠] .

---

(٢٠٦) المصدر نفسه ، ١٤١ .

(٢٠٧) بطن مَرّ : من نواحي مكة المكرمة ، عنده يجتمع وادي النخلتين، فيصيران واديا واحدا ، (ياقوت : معجم البلدان ، ٤٤٩/١) .

(٢٠٨) ٨٨/٣ .

(٢٠٩) حوادث (١٢١- ١٤٠م) ، ٣٤٤ .

(٢١٠) ١٩٣/٨، وراجع أيضا ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، ١٥١/٨ .

وقد ذكر المسعودي أن عدد من قتلهم داود بن علي في الحجاز نحوا ، من العدد الذي قتله عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس ، أي بضع وثمانون رجلا[211] .

انفرد اليعقوبي بذكر بعض التفصيلات ، عن أحداث الحجاز ، وذكر أنه عندما قدم داود بن علي إلى مكة المكرمة ، واليا على الحجاز من قبل أبي العباس السفاح ، هرب الوليد بن عروة بن عطية السعدي والي بني أمية على مكة المكرمة ، فقام داود في الناس خطيبا ، فذكر فضل العباسيين ، ووعد الناس بالأمن ، والأمان قائلا : «إنما كانت لنا فيكم تبعات ، وطلبات ، وقد تركنا ذلك كله ، وانتم آمون بأمان الله ، أحمركم ، وأسودكم ، وصغيركم وكبيركم ، وقد عفونا التبعات ، ووهبنا الظلامات ، فلا ورب هذه البُنْيَةِ ، لا نهيج أحدا ، وضرب بيده إلى الكعبة»[212] ، وبينما هو في خطبته قام إليه سُدَيْف بن ميمون ، فقال له : أصلح الله الأمير أُدْنني منك ، فأدناه ، وأذن له في الكلام ، فصعد المنبر ، حتى كان دون ، داود بمرقاة ، ثم أقبل على الناس ، وناقض داود بن علي ، حيث هدد ، وتوعد بني أمية واتهمهم بالضلال ، ورفع من شأن العباس بن عبدالمطلب ، ونزل ، فأتم داود خطبته ، وعندما انتهى موسم الحج ، فتك ببني أمية ، فقبض على من عنده في مكة ، فقتل بعضهم ، ووجه بعضهم إلى الطائف فَقُتلوا ، وحبس آخرين ، فماتوا في حبسه ، وذهب إلى المدنية ففعل ببني أمية ، كما فعل بهم في مكة ، ولم يلبث داود بن علي أن توفي في المدينة ، بعد شهرين من إقامته فيها[213] .

ومما يلفت النظر في رواية اليعقوبي ، هو دور سُدَيْف بن ميمون ، في إثارة داود بن علي ضد بني أمية ، مما أدى إلى نكبتهم ، وسُدَيْف هذا هو ابن اسماعيل بن ميمون المكي ، مولى أبي لهب ، كان شديد السّواد ، أعرابيا ، بدويا ، شاعرا كثير التحريض علي بني أمية ، من أشد المتعصبين للعلويين ، عاش حتى عهد المنصور الذي أمر عمه عبدَ الصمد بقتله ، بعد أن وصله المنصور بألف دينار دفعها سُدَيْف

(٢١١) التنبيه والاشراف ، ٢٨٥ .

(٢١٢) تاريخه ، ٢/٣٥١-٣٥٢ .

(٢١٣) المصدر نفسه ، ٢/٣٥٢ .

إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، معونة له على ثورته ضد المنصور ، فقتل في مكة سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م[٢١٤] ، وقد قال عنه ابن أعثم في كتابه الفتوح ، أنه مولى للسجاد علي بن الحسين[٢١٥] ، فهل كان لسُدَيْف فعلا هذا الدور ، حتى أنه تَجَرّأ ، وخطب بما يثير النقمة على الأمويين ، بعد أن لمس لِيْنا ، ومهادنة ، في خطبة داود بن علي ، أمْ أن ذلـك ، من المبالغات ، التي ضُخِّم بها دور سُدَيْف بن ميمون ، في الفتك ببني أمية ، وهو علوي الولاء ، والميول ؟ لانملك الأدلة القاطعة في إثبات ، أو نفي هذا الخبر .

وهكذا نستطيع أن نكوِّن من مجموعة الروايات السابقة صورة مقبولة إلى حد ما ، عن الدور الذي قام به داود بن علي ، ضد بني أمية ، في الحجاز ، واليمامة ، وهو دور لانستطيع إنكاره ، وإن حاولت بعض الروايات ذات المصدر العلوي ، أن تفسر هذه الاحداث ، بمايخدم مصالح العلويين ، وخاصة روايتا اليعقوبي والأزدي .

أحداث البصـرة :

لم يكن سليمان بن علي أقل من أخويه ، عبدالله ، وداود ، في نظر بعض المصادر التاريخية ، مساهمة في التنكيل ببني أمية ، والبطش بهم وقد ولي البصرة لأبي العباس سنة ١٣٢هـ ، فقبض على جماعة من الأمويين ، يقول الأصهباني في رواية أسندها إلى أحمد بن عبيد الله بن عَمّار ، قال : «حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبيه ، عن عمـومته أنهم[٢١٦] ، حضروا سليمان بن علي بالبصرة ، وقد حضره جماعة من بني أمية عليهم الثياب المُوْشِيّة ، فكأني أنظر إلى أحدهم ، وقد اسْوَدّ شيبٌ في عارضيه من الغالية ، فأمر بهم فقتلوا ، وَجُرُّوا بأرجلهم ، فألقوا على الطريق ، وأن عليهم لسَرَاوِيلات الوَشْيْ ، والكلاب تجرّ بأرجلهم[٢١٧] .

---

(٢١٤) أورد ابن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، بعض أخباره، ٢٢٨/٥ ـ ٢٢٩ ، ٣٤٥ ـ ٣٤٦، كما ترجم له ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢١٠/٩ -٢١٣ ، والزركلي في الأعلام، ١٢٦/٣ .

(٢١٥) ١٩٦/٨ .

(٢١٦) أي عمومتهم .

(٢١٧) الاغاني ، ١٥٦٣/٤ .

يقول ابن الأثير : «عليهم الثياب الموشِيَّة المرتفعة ، وأُمر بهم فجروا بأرجلهم ، فألقوا في الطريق ، وأكلتهم الكلاب»[218] ، وهما روايتان لم نجد ما يعضدهما فيما تيسر لنا من المصادر المعّول عليها خاصة ، ومما يزيد في ضعفها ، تناقضها مع ما اشتهر به سليمان بن علي ، من أخلاق كريمة ، ومكانة رفيعة ، يذكر ابن حَجَر العسقلاني أنّ ابن حِبّان يذكره في الثقات ، وقال يحيى بن سعيد الأموي : «أوصى علي بن عبدالله إلى ابنه سليمان ، وأن في ولد محمد بن علي من هو أسن من سليمان ، وكان سليمان من خيارهم»[219] ، ولعل في النص التالي ، الذي ذكره البلاذري ، في أنساب الأشراف ما يوضح هذه الحادثة ويزيل لبسها ، يقول البلاذري : «قالوا[220] ، وكان سليمان حليما رقيقا ، لم يعرض ، لمن كان بالبصرة ، من بني أمية ، فلم يَسْلَموا في بلد سلامتهم بالبصرة ، وكتب أبو العباس إلى سليمان بن علي في قبض أموال بني زياد ابن أبي سفيان ، فأرسل إلى مسلمة بن محارب ابن مسلم ابن زياد وغيره ، أن أمير المؤمنين كتب إليّ في قبض كل خضراء ، وبيضاء لكم ، فإنّي إنْ كتبت أنّي لم أجد لكم خضراء ، ولابيضاء ، لم آمن أن يأتيكم من يقبض ذلك ، فإن أحببتم فحدُّوا لي من أموالكم شيئا ظاهراً ، أقطع به عني قالَتَه وسُوَء ظنّه ، فحدّوا له ثمانِ مائة جريب[221] أظهروها فقبضها ، ولما صار عبدالله بن علي إلى سليمان رأى رجلا على بغل ، أو بِرْذَون فارهٍ ، وله سَرْج نظيف ، ولجامه مُحَلّى ، فقال : من هذا؟ قال له سليمان : هذا سلم بن حرب بن زياد ، فقال : أوَ قَدْ بقي آلٌ من آلِ زياد مثل هذا ؟ فقال سليمان : نعم لم أجد إليهم سبيلا ، منعني منهم الحق ، قال : أما والله لئن بقيت لهم لأبيدنهم ، فبلغ ذلك سلما فهرب عن البصرة ، فلم يدخلها ، حتى شُخِص بعبد الله عنها»[222] .

---

(٢١٨) الكامل في التاريخ، ٤٣١/٥ .

(٢١٩) تهذيب التهذيب، ٤/٢١١-٢١٢ .

(٢٢٠) نلاحظ أن البلاذري، لم يسند النص .

(٢٢١) الجريب : جاء في المصباح المنير، ١٠٣/١-١٠٤، أنه القطعة المتميزة من الأرض، ويختلف مقداره حسب اصطلاح أهل الأقليم .

(٢٢٢) ٩١/٣ .

ويقول البلاذري : «حدثني عمر بن شَبَّة ، عن محمد بن عبيد بن عمر ، وأخبرني طارق بن المبارك ، عن أبيه ، قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : جاءت هذه الدولة ، وأنا حديث السِّنّ ، منتشر الأموال ، فكنت لا أكون في قبيلة إلا شَهُرَ أمْرى . فلما رأيت ذلك ، عزمت على أن أفدِّي حُرَمي بنفسي ، قال : فأرسل إليَّ أن إلْقَني عل باب الأمير سليمان بن علي ، فانتهيت إليه فإذا عليه طيلسان[٢٢٣] مطبق جديد ، وسراويل وشي مسدولة ، فقلت : ياسبحان الله ماتصنع الحداثة ، أهذا لبس هذا اليوم ؟ فقال : لا ولكنه ليس عندي ثوب إلا وهو أشهر مما ترى . وقال : فأعطيته طيلساني ، وأخذت طيلسانة ، وشمرت سراويله ، إلى ركبتيه ، قال : فدخل على سليمان ، ثم خرج مسرورا ، فقلت له : حدثني بما جرى . فقال : دخلت على أكرم الناس ، وأحلمهم ، وأنبلهم ، فلما وصلت إليه ، ولم يرني قط ، قلت : أصلح الله الأمير لفظَتْني البلادُ إليك ، ودَلَّني فضُللك عليكَ ، فإما قبلتني غانماً ، أورددتني سالما ، قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : مرحبا بك ، اقعد ، فتكَلَّمْ آمِنا ثم أقبل عَلَيَّ ، فقال : حاجتك يا ابن أخي ، قلت : إن الحُرَم اللائي أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأنت أولى الناس بهن بَعْدنَا ، وقد خِفن لخوفنا ، ومن خاف خِيف عليه ، قال : فبكى ، ثم قال : يا بن أخي يحقن الله دمك ، ويحفظك في حرمك ، ويوفر عليك مالك ، ولو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ، فكن متواريا كظاهر ، ولْتَأتِني رقَاعُك في حوائجك ، وأمورك ، قال : فكنت والله أكتب إليه ، كما يكتب الرجل إلى أبيه ، وعمه ، قال : فلما فرغ من حديثه رددت عليه طيلسانه ، فقال : مهلا فإنّ ثيابنا إن فارقتنا لم ترجع إلينا»[٢٢٤] .

أسند البلاذري هذه الرواية إلى عمر بن شبَّة ، وهو عمر بن شَبَّه ابن عبيدة بن زيد بن رائطة النميرى ، أبوزيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري ، نزيل بغداد ، ولد في رجب سنة ١٧٣هـ/ ٦٩٢م ، وتوفي ، في جمادي

(٢٢٣) طيلسان : الطيلسان، ضرب من الأكسية أصلها فارسي، معرب راجع (ابن سيده المخصص، ٤/٧٨، وابن منظور: لسان العرب، ٧/٤٣١، وما كتبه بالتفصيل، صلاح حسين العبيدي: الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني ٢٦٩- ٢٧٨) .

(٢٢٤) ٣/٩٢-٩٣ ، وراجع أيضا، الأصبهاني : الأغاني ، ٤/١٥٦٣- ١٥٦٤ .

الآخرة سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م ، وقد قارب التسعين من عمره ، أُثنى عليه ، ووصف بأنه ثقة صادق الحديث ، عالما بالسير ، وأيام الناس[٢٢٥] .

هذا ، وقد ذكر بن الأثير قصة عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان[٢٢٦] ، مع سليمان بن علي ، بعد ذكره لحادثة قتل بني أمية في البصرة ، كما جاءت في البلاذري ، مع تحوير بسيط[٢٢٧] ، بل إن ابن الأثير زاد على ما ذكره البلاذري أن سليمان كتب إلى أبي العباس السفاح : «يا أمير المؤمنين إنه قد وفد وافِدَةُ من بني أمية علينا ، وإنّا إنما قتلناهم على عقوقهم ، لا على أرحامهم ، فإنّنا يجمعنا ، وإياهم عبدُ مناف ، والرّحم تبل ولاتقتل ، وترفع ولاتوضع ، فإن رأي المؤمنين أن يهبهم لي ، فليفعل ، وإن فعل فليجعل كتابا عامّاً إلى البلدان ، نشكر الله على نعمه عندنا ، وإحسانه إلينا ، فوافق السفاح على ما طلب»[٢٢٨] .

وربما تبادر إلى الذهن أنّ هذا الموقف جاء بعد أن كُسِرت شوكةُ الأمويين ، وضعفت مقاومتهم ، حيث أصبح العباسيون في مأمن من ثورتهم ، ولكن إذا عرفنا أن العباسيين كانوا يأخذون أحيانا جانب اللين والمهادنة ، مع الأمويين ، إذا كان فيهما ما يحقق الغرض ، وهو عدم إثارة الفتن ، والاستسلام ، والاعتراف بالدولة العباسية ، نستطيع أن نقول أن سلميان بن علي ، لم يخرج في موقفه عن السياسة العامة للدولة العباسية ، وهو بهذا يعبّر عن روح متعاطفة مع الأمويين، خاصّة الذين لامطمع لهم في ملك، أو سلطان، تلك الروح التى تعكس ما كان عليه من خُلق . وعلم ، ودين ، يقول ابن عبد ربه ، في كتابه العقد الفريد ، عن سليمان بن علي : «وكان أشد الناس على بني أمية عبدالله بن علي ، واحنّهم عليه سليمان بن علي ، وهو

(٢٢٥) ترجم له ، النديم في الفهرست ، ١٢٥ ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، ١٦/ ٦٠-٦٢، وابن خلكان، في وفيات الأعيان، ٣/٤٩١ ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ، ٢/٥١٦- ٥١٧ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب، ٧/٤٦٠- ٤٦١ .

(٢٢٦) هكذا ورد عند ابن الاثير (ابن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان، بينما ورد عند البلاذري (ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان) أنساب الاشراف ، ٣/٩٢ .

(٢٢٧) الكامل في التاريخ، ٥/٤٣١- ٤٣٢ .

(٢٢٨) الكامل في التاريخ ٥٥/٤٣٢ .

الذي كان يسميه أبومسلم[٢٢٩] كَنَف الأمان ، وكان يجير كل من استجأر به»[٢٣٠] ، ويذكر ابن عبد ربه أيضا أنه عندما توفي سليمان بن علي[٢٣١] ، كانت عنده بضع وثمانون حرمة لبني أمية[٢٣٢] .

أحداث هاشِمّية الأنبار[٢٣٣] :

يبدو أن مطاردة الأمويين ، وصلت إلى البلاط العباسي ، بل إن بطلها هذه المرة الخليفة أبو العباس السفاح ، وهي حادثة تختلف عن الأحداث السابقة في الشام والحجاز ، والبصرة ، نظرا لاختلاف الروايات حولها ، وتداخلها ، حتى أنها وصلت الى درجة من التعقيد ، يصعب على الباحث الخروج برأي واضح عنها .

خصص ابن أعثم فقرة بعنوان «ذكر أخبار سُدَيُف بن ميمون السّجاد على بن الحسين بن أبي طالب رضى الله عنه وأشعاره الملاح بين يدي أمير المؤمنين[٢٣٤] «ضمنها رواية مطولة أسندها إلى أبي الحسن علي بن محمد المدائني مباشرة دون ذكر سلسلة السند خلاصة ما جاء فيها ، هو تجمع أكثر من ثمانين شخصا من فلول بني أمية الناجين من مذابح الشام ، والحجاز ، في العراق عند أبي العباس السفاح ، على رأسهم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وولداه ، معلنين خضوعهم ، واعترافهم ، مذكِّرين بقرابتهم فاستدروا عطف الخليفة ، فعفا عنهم ، وقَرّبهم ، فلم يَرُق ذلك سُدَيْف بن ميمون ، الذي كان في تلك الفترة مع عبدالله بن علي ببلاد الشام ، فآل على نفسه أن يأتي للسفاح ويهيّجه ، ويبعث أحقاده في أبيات من الشعر يلقيها بين يديه ، فقدم عليه ، وألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

(٢٢٩) لعله أبو مسلم الخراساني .

(٢٣٠) ٥/٢٢٩ .

(٢٣١) كان ذلك لتسع بقين من جمادي الآخر سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م ، راجع (ابن قتيبة : المعارف ٣٧٥، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٧/٥١٤) .

(٢٣٢) المصدر السابق ٥/٢٢٩ .

(٢٣٣) أورد اليعقوبي خبر هذه الاحداث ، بعدما تحدث عن انتقال أبو العباس، من الحيرة إلى الانبار ، واتخاذه بها مدينة سماها (الهاشمية) وذلك سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م)، راجع تاريخه (٢/٣٥٨) .

(٢٣٤) كتاب الفتوح : ٨/١٩٦ .

ظهـر الحـق فاسـتبـان مضـيّا إذا رأينـا الخـليفـة المـهـدِيّا

فأدرك أبو العباس ما يعنيه سُدَيْف وقال له : خُلِق الانسانُ عجولاِ ، وتمثل بقول الشاعر :

أحيا الـضغـائنَ آبـاء لنـا سلفـوا فلن تبـيد ولـلآبـاء أبـنـاء

وأمـر لسُـدَيْف، بجـائزة وانصرف ، وبعد شهر ، أو أقل عاد سُدَيْف إلى أبي العباس، وأنشد قصيدة أخرى مطلعها :

أَلَا مَنْ لقـبٍ مسـتـهـام متـيم تَكَلّم لاتـبعـد عن النـاس تكْلُمِ

فاستحسن السفاح إنشاده ، وطلب المزيد ، فأنشده قصيدة مطلعها

أمـير المـؤمـنـين أولى رجـاء بأقـوام تبـيض وهـي داء
وحـد السيف للـداء الدواء

فدمعت عينا السفاح ، وأمر لسُدَيْف بجائزة ، وانصرف إلى منزله ، فلحق به بعض العلويين ، من أبنـاء الحسن ، والحسين ، وطلبوا منه الاستمرار في تهييج الخليفة ، وتحريضه على قتل بني أمية ، فعاد إلى أبي العباس ، وألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

دار سلمـى نهيضـة الأبـيات لسـت من أسرتي ، ولا من كَنَّـات

فاستحسنها الخليفة واستعادها مرتين ، ثم أمر صالح باعطاء سُدَيْف ألف دينار ، ونـادى في الحـاجب ، أغلق الباب ، وهات الكافَرَ كُوبات[٢٣٥] ، فدخل أعوانه ، ومعهم الخُشُب المُسَوَّدَة ، فصاح فيهم أبوالعباس ، أنكوا على أعداء الله ، فإن هذا يوم ، قد أذن الله في هلاكهم ، فقتلوا جميعهم ، وهم حوالي ثمانين ، أو أكثر، ولم يستثن منهم أبـوالعبـاس غير سليمان بن هشـام عبـدالملك وابنيه ، جمعت الجثث الممـزقـة ، وأمـر بالأنـطاع ، فأُلقيت عليها ، وطلبت الموائد ، فأُحضرت ، فأَكَلَ

(٢٣٥) راجع ص ٣٢١، هامش (١٨٠) من البحث.

الخليفـةُ ، وأكـل من معه ، من بني العباس ، وولد أبي طالب ، وكانت الموائد ، ترتفع ، وتنخفض من تحرك الناس ، وتحرك أنفاسهم ، فقال الخليفة لاصحابه : كلوا ، فقد برد الغليل .

صُلِب قتـلى بني أمية في بستـان لأبي العبـاس ، وبقوا مصلوبين ، حتى نتنت جثثهم ، وانتشرت روائحهم مما ضايق جلسـاء الخليفـة ، الذين طلبوا منه إغلاق الباب المؤدي للبستان ، فقال لهم : إن رائحتهم لأعجب من رائحة المسك ، كلوا ، واحمدوا الله تعالى .

لم يهنأ لسُدَيْف عيشٌ ، وفي بني أمية بقية تدب فيها الحياة ، فأقبل على أبي العباس يوما ، واستقبله كعادته في كل مرة بالبشر والترحاب ، فأنشد قصيدة مطلعها :

أصـبـح المـلك ثابـت الأسـاس
بالـبـهـالـيل من بني الـعـبـاس

فأجازه بألف دينار ، وأعطاه خيار ثيابه ، ووعده بالنظر فيما قال ، فقال سليمان ابن هشام : يا أمير المؤمنين ، إن مولاك سُدَيْفاً يَسْتَحِثُّكَ على قتلي ، وقتل وَلَدَيّ هذين ، وقـد رأيت قتلت من أهـل بيتي ، وبني أبي من قتلت ، وقـد بلغني أنك تريد أن تغتـالني ، فقـال له أبـوالعبـاس غاضبـا : أمّـا إلى وقتي هذا فإنّي كنت عزمت أن لا أطالبك ، ولا أطالب بنيك بشيء ، مما كنت أطلب به أهل بيتك ، وقد وقع في قلبك أني أريد أن أغتالك ، فيا جاهل ما الذي يحول بيني وبينك إن أردت قتلك ، حتى أريد أن أغتالك ، فأمر به وبإبنَيْه فأُطيح برؤُوسهم[٢٣٦] .

وهكذا حسب رواية ابن أُعثم الكوفي ، ذهب بنو أمية ، وعلى رأسهم سليمان بن هشام ، وابنيه ، بسبب تحريض شاعر ، من موالي آل أبي طالب ، أثار بشعره حقد العباسيين ، وضغائنهم ، يقف وراءه ويشجعه العلويون ، فقَتل أبو العباس في تلك المـذبحـة ، أكثـر من ثمانـين ، من رجـال بني أمية ، بصورة تفوق صور التنكيل السابقة ، التى قام بها عبدالله بن علي ، وقد بلغت تلك القسوة بأبي العباس ، أن

(٢٣٦) الفتوح ، ٨/١٩٦-٢٠١ .

يأمر بصلب الجثث في بستانه ، لتكون قريبة منه ، يستمتع بالنظر إليها ، وينتشي من رائحة نتنها .

ابن عبد ربه ، في العقد الفريد ، تحدث عن هذه الحادثة ، في بلاط أبي العباس ، وذكر أن الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك ، قدم على رأس ثمانين رجلا من بني أمية ، إلى أبي العباس ، الذي استقبلهم بما يليق بهم ، فدخل عليه شيعتهُ ، وكان فيهم سُدَيْف ابن ميمون ، الذي تقدم ، وألقى بين يديه خطبة بليغة ذَكَّر فيها بقرابة بني العباس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضلهم ، وجلائل أعمالهم ، وحقّهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عدد مثالب بني أمية ، وما ارتكبوه من أعمال مخالفة لكتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، وعندما دخل شيعتُه عليه من الغد ، وكان فيهم الشاعر شبل فأنشد قصيدة جاء فيها :

أصبح الملكُ ثابتَ الاساسِ   بالهاليلَ من بني العباس
طلبوا وتْرَ هاشم فلقوها   بعد مَيْل من الزمان وياس
لا تُقِيلَنَ عبدَ شمسٍ عِثارا   واقطَعَنْ كل نخلةٍ وغِراس

ثم دخل عليه في اليوم الثالث فقام سُدَيْف منشدا قصيدة منها :

قد أتتكَ الوفودُ من عبدِ شمسٍ   مستعدّين يُوجعون المَطِيَّا
غفوة أيها الخليفة لاعن   طاعةٍ تخوفوا المَشْرِفِيّا
لا يَغُرّنْك ما ترى من رجالٍ   إن تحت الضلوع داءً دويا
فضع السيفَ وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا

ثم قام شاعر آخر ، هو خلف بن خليفة الأقطع ، فألقى قصيدة قال فيها :

إن تجاوزْ فقد قدرتَ عليهمْ   أو تُعاقِب فلمْ تعاقب بَرِيًّا
أو تعاتِبْهم على رقّةِ الدين   فَقَدْ كان دينُهم سامِرِيّا

التفت أبو العباس ، إلى الغَمْر ، وقال له : كيف ترى هذا الشعر ؟ ، قال : والله إن هذا لشاعر ، ولقد قال شاعرنا ما هو أشعر من هذا ، قال : وما قال؟ فأنشده :

شمسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهُم   وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

تَمَعَّر وجه أبي العباس ، وقال له : كذبت يا ابن اللخناء ، إني لأرى الخُيَلاء في رأسك بعدُ ، فأمر بضرب أعناقهم ، فنُفِّذ ما أُمرَ به ، وجُرُّوا بأرجلهم ، وعليهم سراويلات الوشي ، وأُلقْوا في صحراء الأنبار ، فأهاج منظرُهم شاعرية سُدَيْف ، عندما وقف عليهم ، مع جماعة مع أصابه أنشد :

طَمعَت أميةُ أنْ سَيَرْضي هاشمٌ عنها ويَذْهَب زيدُها وحسينُها
كلا وربِ محمد وإلهه حتى يُباد كَفُورها وخئونها[٢٣٧]

الأصبهاني ، صاحب كتاب الأغاني ، أفرد هذه الحادثة في عنوان مستقل (ذِكْر من قتل أبوالعباس السفاح من بني أمية)[٢٣٨] ضمنه أكثر من رواية عن حادثة البلاط العباسي ، الأولى أسندها إلى عمه ، حَدَّثه محمد بن سعد الكُرَاني ، حدثه النصر ابن عمرو ، عن المُعَيْطي ، وأيضا إلى محمد بن خلف وكيع ، عن قول أبي السائب سَلْم بن جُنَادة السُّوَاني ، سمع أبا نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن ، وذكر في هذه الرواية خبر دخول سُدَيْف مولى آل أبي لهب ، عَلَى أبي العباس وحوله بنو أمية ، وإنشاده قصيده جاء فيها :

أصبح الملكُ ثابت الاساسِ بالبهاليل من بني العباسِ
بالصدور المُقدَّمين قديما والرؤوس القماقم الرؤاسِ

ووصف فيها ما سببته هذه القصيدة لأبي العباس ، ومن تهيج ورِعْدة فأدرك بنو أمية أنه سيبطش بهم ، حتى قال أحد ولد سليمان بن هشام لمن كان بجانبه ، قتلنا والله العبد ، ولم يلبث أبوالعباس أن أقبل عليهم يتهددهم ويتوعدهم فأمر بأخذهم فأخذتهم الخراسانية وقتلهم جميعا ، ما عدا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، الذي استجار بداود بن علي فأنقذ حياته[٢٣٩] .

أما الرواية الثانية ، فقد أسندها إلى الحسن بن علي ، قال : حدثني احمد بن سعيد

(٢٣٧) ٥/٢٢٧-٢٢٩ .

(٢٣٨) ٤/١٥٥٧ .

(٢٣٩) ٤/١٥٥٨ - ١٥٦٠ .

الدِّمشقي ، قال: حدثنا الزُّبير بن بَكّار ، عن عمه ، ذكر فيها أن سبب غضب أبي العباس على بني أمية ، هو أن أحد الشعراء مدحه فالتفت إلى أحد بني أمية ، وقال له : أين هذا مما مُدِحْتم به ، فقال : هيهات لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرُّقَيّات :

ما نقموا من بني أميّة إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك ولا ... تَصْلح إلا عليهمُ العربُ

فشتمه ، وقال له : أوَ إنّ الخلافة لفي نفسك بعدُ ، فأمر بهم وقتلوا[٢٤٠] ، وفي رواية ثالثة ، أسندها إلى عمه ، أخبرني الكُرَاني ، عن النضر بن عمرو ، عن المعيطي ، ذكر فيها جَمْع جثثهم ، ووضع البسط فوقها ، وتناول طعامه عليها وهي تضطرب تحته ، وقال عندما فرغ من طعامه : ما أعلَمُني أكلت أكلة قط أهنأ ، ولا أطيب منها ، وقال : جُرُّوا بأرجلهم ، قال الإصبهاني : «فأُلْقُوا في الطريق يلعنهم الناس ، أمواتا ، كما لعنوهم أحياء ، قال (أيَّ المُعَيْطِي) فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم ، وعليهم سراويلات الوشي ، حتى أنتنوا ، ثم حفُرت لهم بئر فألقوا فيها[٢٤١] .

ورواية رابعة أسندها إلى الحسن بن علي ، ومحمد بن يحيى ، قالا : حدثنا الحارث ابن أبي أسامة ، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن الهيثم بن بشر ، مولى محمد ابن علي ، قال : أنشد سُدَيف ، أبا العباس ، وعنده رجال من بني أمية يقول :

يا بن عمِّ النبي أنت ضياءٌ ... استبنا بك اليقينَ الجلِيّا

وعندما بلغ قوله :

جَرِّد السيفَ وارفع العفو حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال العباس : ياسُديف خلق الإنسان من عجل ، فقال :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا ... فلن تبيدَ وللآباء أبناءُ

(٢٤٠) الأغاني، ٤/١٥٦٠ .

(٢٤١) الأغاني، ٤/١٥٦٠- ١٥٦١ .

ثم أمر بمن عنده منهم فقَتلوا[٢٤٢] .

وسرد الأصبهاني بعد ذلك عدة أبيات لسُدَيْف ، في تحريض أبي العباس ، على قتل بني أمية .

ابن الطقطقي ذكر أن عدد الذين قتلهم أبو العباس السفاح في مجلسه سبعون رجلا من بني أمية ، بسبب قصيدة ألقاها أحدُ الشعراء[٢٤٣] ، جاء في مطلعها :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

ثم جلس على جثثهم ، وأكل الطعام ، وهو يسمع أنين بعضهم ، حتى ماتوا[٢٤٤] .

تبقى قضية سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وابنيه ، هل قتلوا مع من قتل من بني أمية ، في مجلس أبي العباس السفاح ، أم أن قصتهم مع أبي العباس لاعلاقة لها بتلك الحادثة ؟ ، اختلفت المصادر في ذلك ، فمنها ما يربط قتلهم ، بقتل بني أمية ، بل يذكر أنهم كانوا في مقدمتهم ، حتى أنهم عندما ألقى سُدَيْف قصائده أمام أبي العباس ، قال أحد أبناء سليمان لمن يليه في المجلس : قتلنا العبد[٢٤٥] .

ومنها ما يذكر أن قَتْلهم كان بعد تلك الحادثة ، وأيضا بتحريض من سُدَيْف ابن ميمون وقد كان أبو العباس ، . لايُضْمِر لهم الشر ، ولكنهم عندما استرابوا منه ، وصارحوه في ذلك ، غضب عليهم ، وأمر بهم ، فقُتلوا[٢٤٦] ، ومن المصادر ما يشير إلى حادثة سليمان بن هشام بعيدا عن حادثة بقية بني أمية في بلاط أبي العباس ، ولكنه يربطها بتحريض سُدَيْف بن ميمون[٢٤٧] ، وأضاف بعضهم أن أبا مسلم الخراساني ،

(٢٤٢) المصدر نفسه، ١٥٦٢/٤-١٥٦٣ .

(٢٤٣) لم يسمه، ولكنه أشار إلى أنه شخص آخر غير سُدَيْف بن ميمون .

(٢٤٤) الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الاسلامية، ١٥١-١٥٢ .

(٢٤٥) الأصبهاني : الأغاني، ١٥٦٠/٤- ١٥٦٥ .

(٢٤٦) ابن أعثم : الفتوح، ٢٠٠/٨- ٢٠١ .

(٢٤٧) الإمامة والسياسة، ١٢٣/٢، والبلاذري: أنساب الاشراف، ١٦١/٣- ١٦٣، واليعقوبي : تاريخه، ٣٥٩/٢-٣٦٠، وابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية، ١٥١ وابن الإثير : الكامل في التاريخ ، ٤٢٩/٥- ٤٣٠ .

لعب دورا بارزا في قتل سليمان ، وابنيه[٢٤٨] ، فألح على أبي العباس في قتلهم ، وكان يقول له : «إذا كان عدّوك ، ووليك عندك سواء ، فمتى يرجوك المطيع لك ، المائل إليك ، ومتى يخافك المتجانف عنك»[٢٤٩] .

يورد صاحب كتاب الإمامة والسياسة تفصيلات أكثر من غيره ، عن سليمان ابن هشام ، ويذكر أن سبب تقريب أبي العباس له ، موقفه العدائي من مروان ابن محمد ، قبل إعلان الدعوة العباسية ، وعندما قامت الدولة العباسية ، أصبح من أتباعها ، والمؤيدين لها ، حيث انضم بحيشه المكون من أربعة آلاف ، والذي كان يقاتل به مروان بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني ، الذي فرح به ، وكلفه إلى جانب قحطبة بن شبيب الطائي بتتبع مروان بن محمد، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، وذكر أن سليمان بن هشام ، كان ضمن القواد ، الذين طاردوا مروان في مصر ، وكان هو الذي تتبع المنهزمين ، وفتك بهم ، وأسر من أسر ، فهنأة أبوعون ، أبرز القواد العباسيين ، الذين كُلّفوا بمطاردة مروان في جيش صالح بن علي ، قائلا : «الحمد لله الذي شفى صدرك قبل الموت من مروان ، فهل لك يا أبا أيوب أن تذهب إلى أمير المؤمنين بكتابي ، وبما هيأ الله على يديك ، وشفا به صدرك ، فيفعل بك خيرا»[٢٥٠] ، فقدم على أبي العباس ، ونال حظوة كبيرة ، فأنزله بعض دوره ، في الكوفة ، حتى كان لأبي العباس ، كأحد وزرائه ، وكان مكانه في المجلس عن يسار الخليفة ، بينما يجلس أبوجعفر المنصور عن يمين الخليفة[٢٥١] . وقد أشار الأصبهاني إلى هذه العلاقة بقوله : «كان سليمان بن هشام صديقه قديما ، وحديثا ، يقضي حوائجه في أيامهم ، ويَبَرَّهَ»[٢٥٢] .

وكذلك البلاذري ذكر أيضا أن ما بين سليمان ، ومروان بن محمد ، كان سبب في تقريبه لأبي العباس ، الذي أمر بأن لا يعرض له[٢٥٣] .

---

(٢٤٨) كما ذكر ذلك البلاذري : المصدر السابق، ١٦٣/٣ .

(٢٤٩) البلاذري : أنساب الاشراف، ١٦٣/٣ .

(٢٥٠) ١١٩/٢-١٢٠ .

(٢٥١) المصدر نفسه، ١٢٠/٢ .

(٢٥٢) الأغاني، ١٥٦٥/٤ .

(٢٥٣) أنساب الاشراف، ١٦١/٣ .

نقف قليلا لنتأمل ما استعرضناه ، في الصفحات السابقة ، ونلحظ ، أن هناك تشابها بين حادثة ، هاشمية الأنبار ، وحوادث نهر أبي فُطْرُس ، والحجاز ، والبصرة ، وهو تشابه لا نعني به طرفي الحادثة : العباسيون ، والأمويون ، وإنما ظروف الأحداث ، وملابساتها ، وما ظهر من دوافع محركة لها ، وشخوصها وسير أحداثها ، ونهاياتها ، يصل ذلك التشابه أحيانا إلى درجة الريبة والشك ، في بعض الروايات التاريخية ، لما فيها من تداخل ، واضطراب ؛ فكما توافد بنو أمية ، على عبدالله بن علي عند نهر أبي فُطْرُس في أعداد ، بلغت ما بين سبعين إلى تسعين رجلا ، فيهم صناديدُهم ، كذلك تقاطروا على أبي العباس في هاشمية الأنبار بنفس الأعداد تقريبا ثمانين ، أو سبعين رجلا ، وهم - أعني بني أمية - في كلا الحالين مُعْلنِين ولاءَهم ، وخضوعَهم ، طالبين تأمين أنفسهم ، وأهلهم ، وأموالهم، والعباسيون ، في كلا الحالين ، متظاهرين بالرضا والقبول ، ومضمرين الشر ، والانتقام ، لم يرقبوا فيهم إلاًّ ، ولا ذِمّة ، ولم يراعوا عهوداً ، أو مواثيقا كانوا في منتهى الفضاضة والقسوة ، شدخوا رؤس بني أمية بالكافر كوبات ، وجمعوهم ، ومدوا أسمطتهم على جثثهم ، وأكلوا هانئين ، متلذذين طعامهم ، وربما ارتفعت الأسمطة ، وانحفضت بالاتفاع الأنفاس ، وحركة الأجسام ، وفي هاشمية الأنبار أيضا تكرر ماحدث في البصرة خاصة ، حيث أُمر بَجَرّ أرجل بني أمية ، وعليهم سراويلات الوشي ، فأُلقيت الجثثُ في الشوارع ، أو صحراء الأنبار ، تنهشهم الكلاب ، ويلعنهم المارة في مماتهم ، كما لعنوهم في حياتهم .

في كل المشاهد ، أبي فُطْرُس ، الحجاز ، هاشمية الأنبار ، البصرة ذهبوا ضحية الثأر لآل البيت . الحسين بن علي ، وزيد بن علي بن الحسين ، الشعر في كل المشاهد هو المشعل الذي أوقدَ نارالحقد ، والضغائن ، وسُدَيْف بن ميمون هو الفارس المغوار في كثير من المشاهد ، بما ينشده من قصائد ، أويلقيه من خطب ، تتفجر حقدا وغضبا على بني أمية ، فيهيج عبدالله بن علي ، ويهيج دواد بن علي ، ثم يهيج الخليفة أبوالعباس السفاح ، ويصبح الانتقام قاسيا مدمرا .

هل كل هذا من قبيل الصدفة ، أم تداخلت الأحداث ، فلم تفرق الروايات بين

حادثة نهر أبي فُطْرسُ ، وحادثة هاشمية الأنبار على وجه الخصوص ، لكثرة ما بينهما من تشابه ، أم أن حادثة هاشمية الأنبار لاعلاقة لها بالقتل الجماعي لبني أمية ، بل خاصة بسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وابنه أو ابنيه[٢٥٤] ، أستطيع القول ، أن هناك بعض المؤشرات التي توحي بهذا التفسير ، وهي :

إغفال بعض المصادر المَعَوّلُ عليها في التاريخ الإسلامي لموضوع قتل ذلك العدد من بني أمية ، في مجلس أبي العباس السفاح ، وأهمها خليفة بن خياط ، في تاريخه ، ومحمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك ، وابن كثير في البداية والنهاية .

يُلحظ أن بعض المصادر التي تحدثت عن حادثة الأمويين في مجلس أبي العباس في هاشمية الأنبار ، كانت متعاطفة مع العلويين ، وفي مقدمتها ، اليعقوبي في تاريخه ، وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ، وابن الطقطقي في كتاب الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية ، وقد تحدثنا في صفحات سابقة عن أثر التشيع في كتابات هؤلاء ، ونضيف هنا ، أنّ ابن عبد ربه ، صاحب كتاب العقد الفريد ، ترجم له الفَرضيَ في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَير بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، صاحب الأنـدلس ، . من أهل قرطبة، يُكَنّي أباعمر ، شاعر ، وأديب ، أندلسي ، توفي بالفالج يوم الأحد لثنتي ليلة بقيت من جمادي الأولى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) ، وعمره إحدى وثمانون سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام[٢٥٥] ، يقول عنه ابن كثير، بعد أن أثنى على علمه وفضله : «ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه، وميل إلى الحط على بني أمية ، وهذا عجيب منه ، لأنه أحد مواليهم ، وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم ، لاممن يعاديهم»[٢٥٦] ، ومثله أيضا أبوالفرج الأصبهاني ، وهـو على بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله . صاحب كتـاب الأغـاني ، . ذكـر ابن الجوزي ، وفاته في أحداث سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦هـ) ، وقـال عنه : «وكان يتشيع ، ومثله لايوثق بروايته ، يصرّح في كتبه بما

(٢٥٤) حسب اختلاف الروايات .

(٢٥٥) ٣٨ .

(٢٥٦) البداية والنهاية، ١١/١٩٣-١٩٤ .

يوجب عليه الفسق، وتهوَّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتابه الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»[٢٥٧] ، كما ترجم له الذهبي ، في سير أعلام النبلاء ، وقال : «والعجب أنه أموي شيعي ، خَلّط قبل موته ، وكان وَسِخاً زَرِيّاً يَتَّقون هجاءه»[٢٥٨] . كما قال عنه ابن كثير: «وكان فيه تشيع»[٢٥٩] ، كان كاتبا لركن الدولة ابن بوية «ولعل من أسباب تلك الحظوة ، اتفاقهما في التشيع ، فقد كان ركن الدولة يتعهد العلويين بالأموال الكثيرة . والمنح الجزيلة»[٢٦٠] .

تناقض الروايات التي أشارت إلى تلك الحوادث ؛ مثلا في قضية سليمان بن هشام بن عبدالملك ، أحيانا تذكر أنه قُتِل مع بني أمية في مجلس أبي العباس وأحيانا تذكر أنه قُتل بعد ذلك . وأيضا الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك ، مرة تذكر أنه كان على رأس بني أمية ، الذين قدموا على عبدالله بن علي ، عند نهر أبي فُطْرُس ، ومرة تذكره ، وقد تزعم بني أمية ، واتجه إلى أبي العباس في هاشمية الأنبار .

عندما تحدثت بعض المصادر ، مثل كتاب الفتوح لابن أعثم ، عن حادثة هاشمية الأنبار وصفت سير الأحداث ، وكأنها هي التي وقعت في نهر أبي فُطْرُس .

الشعراء هم الذين أشعلوا نار الفتيل في نهر أبي فُطْرُس ، وهم الذين اشعلوه في هاشمية الأنبار ، تتكرر الوجوه ، ويتكرر الشعر ، وربما نسبت القصيدة الواحدة لأكثر من شاعر ، وسُدَيْف بن ميمون هو رجل الموقف في كلا الحادثتين .

هذا وفي الوقت الذي نشير فيه إلى مبالغة بعض المصادر التاريخية في دور الشعر ، ودور سُدَيْف بن ميمون ، بما حل ببني أمية من نكبات ، لايعني هذا إنكارنا بأن سُدَيْف بن ميمون ، بما كان عليه من مكانة لدى أبي العباس السفاح ، ثم مع أخيه أبي جعفر المنصور ، وماأوتي من شعر ، ومن بلاغة ، وما كان عليه من ميل إلى العلويين ، قد ساهم في التنكيل ببني أمية ، وأن شعره ربما أثار حماس العباسيين ، وهيج نفوسهم ، وهم العرب المتذوقون للشعر المتأثرون به .

---

(٢٥٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ٧/٤٠-٤١ .

(٢٥٨) ١٦/٢٠٢ .

(٢٥٩) المصدر السابق، ١١/٢٦٣ . (٢٦٠) راجع مقدمة كتاب مقاتل الطالبيين، للسيد أحمد صقر، ص/ب .

يبدو أن قتل سليمان بن هشام بن عبد الملك ، مع ابنيه على يد أبي العباس ، قد أوجد ذلك اللبس لدى بعض المصادر التاريخية ، وربما كانت فرصة للبعض أن يضخم تلك الحادثة ، ويتهم فيها أبا العباس ، بأنه قام بمذبحة ضد بني أمية ، مثل مذبحة نهر أبي فُطْرُس ، في ملابساتها ، وفي عدد قتلاها ، وفي أحداثها ، فجاءت كأنها حادثة نهر أبي فُطْرُس ، وقد كان سليمان بن هشام يلقب بأبي الغَمْر ، وربما التبس على البعض فتوَهَّم أنه هو الغَمْر ، وهو الذي قُتِل مع من قُتِل من الأمويين في حادثة نهر أبي فُطْرُس ، فشكك في قتله في تلك الحادثة ، وذكر أنه قدم على أبي العباس السفاح ، على رأس ثمانين رجلا من بني أمية ، بل إن ظروف مقتل سليمان بن هشام وابنيه كانت موضع خلاف بين المصادر التاريخية .

وقبل معالجة هذا الموضوع ، نتعرف على سليمان بن هشام ، والأسباب التي قربته من العباسيين ، وعندما نتتبع روايات الطبري نجدها تذكر عنه أنه كان قائدا عسكريا بارزا في الدولة الأموية ، وخاصة في عهد والده هشام بن عبدالملك ، فقد قام بغزو الروم ، أكثر من مرة في سنة ١١٧هـ (٧٣٥م) ، وسنة ١١٨هـ (٧٣٦م) ، وسنة ١٢٠هـ (٧٣٧م) ، وسنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م[٢٦١] ، فاكتسب خبرةً عسكريةً ، ومهارةً قياديةً ، وعندما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٢- ٧٤٣م) ، تنازع أفرادُ البيت الأموي على السلطة ، وكثر الخلافُ بينهم ، وكان سليمان بن هشام من المخالفين للوليد بن يزيد ، الذي ضربه مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه إلى عمان ، وحبسه بها ، وبقي محبوسا حتى قُتل الوليد سنة ١٢٦هـ[٢٦٢] ، فخرج من سجنه ، وأقبل إلى دمشق ، كما يقول الطبري : «وهو يلعن الوليد ويعيبه»[٢٦٣] ، والتحلق بيزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) فأكرمه وقرّبه منه ، وتزوج بأخته ، أم هشام ، ورد عليه ماكان الوليد أخذه منه[٢٦٤] ، وولاه بعض حروبه ، حارب مروان بن محمد ، ولكن مروان هزمه بمكان يُقال له عين

---

(٢٦١) تاريخ الرسل والملوك، ٧/ ٩٩، ١٠٩، ١٣٩ .

(٢٦٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٠/ ١٩١ .

(٢٦٣) المصدر السابق، ٧/ ٢٦٢ .

(٢٦٤) المصدر نفسه، ٧/ ٢٦٣ .

الجَـرّ[٢٦٥][٢٦٦] ، واضـطره للهـرب إلى تدمـر ، ثم أظهـر استسـلامـه ، ومبايعته له بالخلافة ، ولم يلبث أن خلع مبايعته ، فاجتمع معه نحو سبعين ألف مقاتل ، مما أطمعه في الخلافة ، إلا أن مروان بن محمد بعث اليه جيشا هزمه[٢٦٧] ، فتحصن في مدينة حمص ، ثم هرب منها بعد أن هُزم من قبل جند مروان ، ولحق بزعيم الخوارج الضحاك بن قيس ، الذي كان يناصب مروان بن محمد العداء[٢٦٨] .

تعـود صلة سليمان بن هشـام بالعبـاسيين إلى سنـة (١٢٩هـ/ ٧٤٦) ، عندما تغلَّب ، عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على إقليم فارس ، يقول الطبري : «فأتاه الناس ، بنو هاشم ، وغيرهم ، وجَبَى المال ، وبعث العمال ، وكان معه منصور بن جمهور ، وسليمان بن هشام بن الملك ، وشيبان بن الحِلْس بن عبـد العـزيز الشيبـاني الخارجي ، وأتاه أبوجعفر عبدالله ، وعبدالله وعيسى أبناء علي»[٢٦٩] ، ربـما توثقت العلاقة بينه وبين العباسيين في تلك الفترة ، وعندما آلت الخـلافة إليهم ، قربوه للاستفادة من خبرته ، وتوظيفه عامِلَ ضغط ، وتهديد ضد مروان بن محمد ، ولايُسْتبعد أن يكون قد حارب إلى جانب العباسيين ضد مروان بن محمد ، كما يبدو أنه قد بقى على علاقة طيبة بأبي العباس ، حتى قدم سُدَيْف بن ميمون ، وأخذ يُحَرِّضه ضد بني أمية ، إضافة إلى ماكان يقوم به بعض القواد ، أمثال أبي مسلم الخـراسـاني من تحريض على قتله ، وإدراكه أن الأمور مع العباسيين ، لاتـدوم على صفـائها ، خاصة بعد استقرار سلطتهم ، وهو القائد الخبير ، الذي حنكته التجارب ، فاستراب في الأمر ، ولكن هل كان أبوالعباس على تلك الصفة من الغـدر ، بحيث يبـطش به ، وهـو في مجلسـه ، وهـو الذي يوصف بالكرم ، والحلم ، والجود ، وصلة رحمه[٢٧٠] ، ثم هل بلغ سليمان بن هشام من السذاجة حد

---

(٢٦٥) عين الجَرّ : يقول ياقوت : «موضع معروف بالبقاع بين بَعْلَبَك ، ودمشق» ، معجم البلدان ، ١٧٧/٤ .

(٢٦٦) ابن منظور : المصدر السابق ، ١٩١/١٠ .

(٢٦٧) الطبري : المصدر السابق ، ٣٣٤/٧ـ ٣٢٥ .

(٢٦٨) تاريخ الرسل والملوك ، ٣٢٣/٧ ، ٣٢٤ـ ٣٢٥ .

(٢٦٩) تاريخ الرسل والملوك ، ٣٧٢/٧ ، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ٣٧١/٥ .

(٢٧٠) اليعقوبي : تاريخه . ، ٣٦١/٢ .

الاستسلام للموت مع ابنيه ، وقد علم بما يدور حوله ، ويحاك ضده ؟ لعل ما أشار إليه صاحب كتاب الإمامة[٢٧١] والسياسة من خروج سليمان بن هشام ، ومقاومته وهزيمته لبعوث أبي العباس ، ما يتفق مع طبيعة هذا القائد ، وما عُرف به من حذر ، وقوة ، وطموح .

توفي الخليفة أبو العباس السفاح في الأنبار ، بمرض الجدري ، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ١٣٦هـ (٧٥٣م) ، بعد أن استمر في الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر[٢٧٢] ، استطاع خلالها بمعاونة أفراد البيت العباسي ، وعلى رأسهم عمه عبدالله بن علي أن يقضي على أمل وطموح الأمويين ، في استعادة دولتهم ، فحافظ على دولته وسلَّمها لأخيه أبي جعفر (١٣٦ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ـ ٧٧٤م) وقد أمنت جانب البيت الأموي ، على الأقل ، إلا ما كان منه في الطرف القصي في بلاد الاندلس ، وقد كان للإجراء ، الذي اتبعته الدولة العباسية في عهد أبي العباس ، وماعُرف به أبو جعفر المنصور من قوة وصلابة وحكمة ، ماحسم الموقف مع بني أمية ، فلم يظهر منهم ما يمكن اعتباره تهديدا لاستقرار العباسيين سوى المحاولة التي ظهرت في دمشق ، أثر وفاة أبي العباس مباشرة بزعامة (عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي) ، عامل عبدالله بن علي ، على دمشق ، الذي بايع (هاشم ابن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية) ، ولكن هذه المحاولة فشلت ، حيث هرب الزعيمان ، عندما علما بقدوم صالح بن علي لاخماد ثورتهما .

وبعـــد :

هكذا وقفت بنا هذه الدراسة على جانب هام في تاريخ تلك الفترة ، التي عاش فيها العباسيون أزمة المقاومة الأموية .

كانت المقاومة عنيفة ، غير يائسة ، فجاءت المواجهة في عنف المقاومة ، بل ربما تفوقت عليها في بعض المراحل .

---

(٢٧١) ٢/ ١٢٣ـ ١٢٤ .

(٢٧٢) خليفة بن خياط : تاريخه ، ٤١٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ، ٣/ ١٧٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/ ٦٠ .

المهادنة والموادعة ، أسلوب لجأ له العباسيون ، خاصة عندما تضعف المقاومة وترفع راية الاستسلام، والاعتراف، وهكذا ، فان عنف المواجهة كان بعنف المقاومة .

نجاح الخطة العباسية عندما اختارت لكل مرحلة ما يناسبها، ففي بلاد الفرس (خراسان) كان قائد المرحلة زعيم فارسي، هو أبو مسلم الخراساني . وفي العراق كان القائد زعيم عربي، هو قحطبة بن شبيب الطائي ، وفي بلاد الشام، مقر الحكم الأموي، حيث مرحلة الحَسْم، بعد إعلان قيام الدولة العباسية، كان القادة كبار رجال البيت العباسي عبد الله بن علي، وصالح بن علي .

أثبت مروان بن محمد أنه رجل حرب متمرس على الكَرّ ، والفَرّ أرهق العباسيين ، لولا كثرة الفتوق ، وتغلب الأحداث .

وفي المقابل كان عبد الله بن على، عم الخليفة أبي العباس، هو رجل الموقف، فكان الشخصية القوية المؤهلة لقيادة مرحلة حاسمة، مثل تلك المرحلة .

استمرت المقاومة الأموية، بعد هزيمة مروان بن محمد، ثم قتله في قرية (بوصير)، على يد بعض القواد المخلصين لبني أمية، فكانت الثورات التي اشتعلت في أماكن متفرقة من بلاد الشام، والجزيرة، والموصل، وقِنَّسْرين، ولولا أنْ وقف العباسيون لها بالمرصاد، لحققت نتائج مؤثرة على النصر العباسي، الذي بدأ نضج ثماره .

أمسك العباسيون بزمام الأمر، بعد مرحلة عنيفة، من الأحداث، لجأوا فيها إلى كسر العظم مع بني أمية ـ في بعض المراحل ـ فانهارت المقاومة، فَتسيَّدَ بنوالعباس، وكانت دولتهم، من أطول الدولة الإسلامية عمرا، امتد مايربوا على خمسة قرون .

ومن جانب آخر :

اضطربت الروايات حول احداث تلك الفترة ، وتحكّمت فيها الميول ، والانتماءات ، فَفُسِّرت ، وَوَجِّهت الأحداث ـ بما يُبْعدها عن الواقع ، وكان للعواطف العلويّة القَدَح المُعَلّى تشويها لصورة العباسيين وازدراء بصورة بني أمية ،

وكـانت الصعوبة في تتبع تلك الروايات ، والكشف عما فيها من تحامل وتشويه ، وتداخل أملته انتماءات ، وعواطف مذهبية .

لم يكن العباسيون على تلك الصورة الموحشة ، التي تجعلهم يعمدون إلى نبش القبور وتجميع رفات الأمويين وحرقة وذريه مع الريح ، فهي صورة مبالغ فيها .
ولم يبلغ العبـاسيون من القسـوة ما يجعلهم يجمعون جثث قتلاهم من بني أمية يمدون عليها الأسمطة ، ويجلسون عليها يأكلون طعامهم متلذذين ، وهي تضطرب تحتهم ارتفاعاً ، وانخفاضا ، فهي صورة من صور المبالغة أيضا .

ولم يكن أبو العباس ذلك السّفاح المتعطش للدماء ، الذي تُزهق في مجلسه أكثر من ثمانين نَفْساً بسبب نزوة عنف أثارتها قصيدة حاقد موتور من بني أمية .
ربـما أسرف عبدالله بن علي في تتبع بني أمية ، لِمَا في طَبْعه من قسوة وعنف ، ولاعتقاده ، بأنّ الموقف بحاجة إلى ذلك الأسلوب من التعامل ، إلا أنه زُجِرْ وأُنِّب من الخليفة أبي العباس عندما تجاوز الحد .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني . ت ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) .
الكامل في التاريخ .
بيروت : دار صادر، ودار بيروت (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) .

الازدي : أبو زكريا يزيد بن إياس بن القاسم ت ٣٣٤هـ (٩٤٥هـ)
تاريخ الموصل
القاهرة ، (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)

الأصبهاني : على بن الحسين بن محمد القرشي . ت ٣٥٦هـ (٩٦٦م)
كتاب الأغاني (الجزء الرابع)
تحقيق ، إبراهيم الأبياري
القاهرة ، دار الشعب (١٣٨٩ه/ ١٩٦٩م) .
مقاتل الطالبيين .
تحقيق ، السيد أحمد صقر .
بيروت ، دار المعرفة ب . ت .

ابن أعثم : أبومحمد أحمد ، ت نحو ٣١٤هـ (٩٢٦م) .
كتاب الفتوح (الجزء الثامن)
ط ١ ، الهند ، حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية . (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .

الأندلسي : أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ت ٣٢٨هـ (٩٣٩م)
العقد الفريد (الجزء الخامس)

تحقيق ، د/ عبد المجيد الترحيبي .
ط٣ : بيروت، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

البكرى : عبد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) .
معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع .
تحقيق مصطفى السقا .
ط٣ : بيروت ، عالم الكتب ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

البلاذري : أحمد بين يحيى ، ت ٢٧٩ هـ (٨٩٣م) .
أنساب الأشراف .
(جـ٣) تحقيق . د/ عبد العزيز الدوري .
بيروت (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
(القسم ٤ ، الجزء ١) .
تحقيق د/ إحسان عباس بيروت (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م).

الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ (٨٦٨م) .
البيان والتبيين .
تحقيق ، دكتور عبد السلام محمد هارون .
ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

الجعفري : ياسين إبراهيم علي . اليعقوبي المؤرخ والجغرافي .
بغداد ، دار الرشيد (١٩٨٠م) .

ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، ت ٥٩٧هـ (١٢٠٠م)
المنتظم في تاريخ الملوك والامم (جـ٧) .
ط١ : الهند ، حيدر آبـاد الدكن ، دائرة المعارف العثمانيـة (١٣٥٨م) .

ابن حبيب : أبو جعفر محمد ، ت ٢٤٥ هـ (١٠٥٣م) .
كتاب المُحَبَّر .
اعتناء د/ ايلز ليختن شتيتر .

بيروت ، المكتب التجاري ، ب . ت .

الحموي : شهاب الدين ياقوت ، ت ٦٢٦هـ)١٢٢٨م) .
معجم البلدان .
بيروت دار صادر (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) .
معجم الأدباء بيروت : دار إحياء التراث العربي . ب. ت .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) .
تاريخه (العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر .
ومن عاصرهم من ذوي السلطانالأكبر) .
ب . م ، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،
ت ٦٨١هـ (١٢٨٢م) .
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان .
تحقيق ، د/إحسان عباس .
بيروت : دار الثقافة . ب . ت .

ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة ، ت ٢٤٠
على الأرجح ٨٥٤م) .
تاريخه .
تحقيق ، د/ أكرم ضياء العمري .
ط٢ ، بيروت : دار القلم ، ودار الرسالة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

الدوري : عبد العزيز (الدكتور) .
بحث في نشأة على التاريخ عند العرب .
بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ب .ت .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ، ت ٢٨٢هـ (٨٩٥م) .
الأخبار الطوال .
تحقيق : عبد المنعم عامر .

ط١ ، القاهرة : ١٩٦٠م .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ٧٤٨هـ .
(١٣٤٨م) .
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام .
حوادث (١٢١ـ ١٤٠) .
تحقيق ، د/ عمر عبدالسلام تدمري .
ط١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .
كتاب تذكرة الحفاظ بيروت : دار احياء التراث العربي ، ب . ت .
سير أعلام النبلاء .
جـ٥ ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط .
جـ٦ ، بتحقيق حسين الأسد .
جـ٧ ، بتحقيق علي أبو زيد .
ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة (١٤٠١ه/ ١٩٨١م .

الزركلي : خير الدين .
الأعلام .
ط ٣ ، ب . م ، ب . ت . .

الزهري : محمد بن سعد بن منيع البصري ، ت ٢٣٠ هـ (٨٤٤م) .
الطبقات الكبرى (ج٧) .
بيروت : دار إحياء صادر ، ب . ت .

السمعاني : أبو سعد عبد الكرم بن محمد بن منصور التميمي ، ت ٥٦٢
(١١٦٦م) .
الأنساب ، (جـ١٢) .
ط ١ ، الهند : حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٤٠١هـ
(١٩٨١م) .

ابن سيده : أبوالحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي

ت ٤٥٨هـ (١٠٦٥م) المخصص .
ب . م : دار الفكر ، ب . ت .

ابن سيد الناس : فتح الدين ، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ، ت ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) عيون الأثر في فنون المغازي ، الشمائل ، والسير ط٢ ، بيروت : دار الجيل ، (١٩٧٤م) .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ (٩٢٢م) .
تاريخ الرسل والملوك .
تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم .
ط٣ ، القاهرة : دار المعارف (جـ٧) .

ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ، ت ٧٠٩هـ (١٣٠٩م)
الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الاسلامية .
بيروت : دار صادر ، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .

العبيدي : صلاح حسين .
الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية . العراق : دار الرشيد ، (١٩٨٠م) .

ابن العديم : المولى الصاحب ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ (١٢٦١م) .
زبدة الحلب من تاريخ حلب .
تحقيق ، د/سامي الدهان .
دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) .

ابن عساكر : الحافظ ، أبو القاسم علي بن الحسن ، ت ٥٧١هـ . (١١٧٥م)
تاريخ دمشق .
صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، كُمِّل نقصها ، من النسخ الاخرى ، بالقاهرة ، ومراكش ، واستانبول .
نشر ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

العسقلاني : شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، ت ٨٥٢هـ (١٤٤٨م)
تهذيب التهذيب (جـ ٨) .
ط١ ، الهند : حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (١٣٢٦هـ) .

ابن الفَرَضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ، ت ٤٠٣هـ (١٠١٢م) .
تاريخ علماء الاندلس .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

فهـد : بدري محمد .
شيخ الإخباريين ، أبو الحسن المدائني .
النجف : مطبعة القضاء ب . ت .

الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري ، ت ٧٧٠هـ (١٣٦٨م) .
المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير للرافعي .
القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ب.ت .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ (٨٨٩م) .
المعارف .
تحقيق ، د/ثروت عكاشة .
ط٢ ، مصر ، دار المعارف .
الأمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء (منسوبا) .
القاهرة : (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) .
آثار البلاد ، وأخبار العباد .
بيروت : دار صادر ، ب . ت .

ابن كثير : إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) .
البداية والنهاية (جـ١٠) .

ط ٢ ، بيروت : مكتبة المعارف (١٩٧٤م) .

كحالة : عمر رضا .
معجم المؤلفين .
بيروت : مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي .

مجهول المؤلف : من القرن الثالث الهجري .
أخبار الدولة العباسية (وفيه أخبار العباس وولده) .
تحقيق ، د/ عبد العزيز الدوري ، ود/ عبد الجبار المّطلبي .
بيروت : دار الطليعة ، (١٩٧١م) .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ، ت ٣٤٥هـ (٩٥٦م) .
التنبيه والإشراف .
طبعة معادة بالأوفست ، بغداد : مكتبة المثنى (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر (جـ٣) .
بيروت : دار الاندلس ، ب . ت .

المشهداني : محمد جاسم حمادي (الدكتور) .
موارد البلاذري ، عن الأسرة الأموية ، في أنساب الأشراف .
مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) .

المعجم الوسيط : ط٢ ، القاهرة : دار المعارف (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) .

المقدسي : المطهر بن طاهر ، ت ٣٥٥هـ (٩٦٥م) .
كتاب البدء والتاريخ .
طبعة صادرة بالأوفست ، بغداد : مكتبة المثنى ، ب . ت .

المنجد : صلاح الدين (الدكتور) .
معجم بني أمية .
ط١ ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، (١٩٧٠م) .

ابن منظور : محمد بن مكرّم ، ت ٧١١هـ (١٣١١م) .

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (جـ٩) .
تحقيق ، نسيب نشّاوي .
ط١ ، دمشق : دار الفكر ، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .
لسان العرب .
طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

النديم : أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب . ت ٣٨٠هـ (٩٩٠م) .
كتاب الفهرست .
تحقيق ، رضاد تجدد .

الهَمْدَاني : الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ت ٣٣٤هـ (٩٤٦م) .
صفة جزيرة العرب .
تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحوالي .
القاهرة : نهضة مصر ، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

هيوار : Ci. HUBRT .
ابن الطقطقي .
بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب ، إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، ت في حدود٢٩٢هـ (٩٠٥م) .
تاريخه .
بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، (١٩٠)هـ (١٩٧٠م) .